وساوس وهلاوس

دكتور
أحمد خالد توفيق



دار ليلى كيان كورب


مجلة
الابتسامة
نسخة منسقة
مخفضة
بصفحات فردية
مجلة
الابتسامة
www.ibtesama.com





هلاوس عن..

الكمبيوتر



فرانكو أراب



في البداية ظهرت برامج الشات.. وتعلمنا طرق الكلام الغريبة التي تختصر الحروف لتكون كلمات إنجليزية، فكان هناك برنامج اسمه ICQ وهي حروف تنطق بالضبط مثل عبارة (أنا أبحث عنك) الإنجليزية. ثم تعلمنا هجاء لفظة Are بكتابة حرف R فقط ورأينا هجاء لفظة Love يصير luv. تحملنا هذا وقبلناه حتى ونحن نجد أنهم يكتبون اسم دولة الكويت العزيزة هكذا ku8. والضحكات تصير LOL و RFOL.

قبلنا هذا على مضض لأننا يجب أن نجاري التقدم.

الكارثة الحقيقية بدأت عندما تلقيت على البريد الالكتروني رسالة تقول:

وقد خطر لي أن شهرتي قد وصلت إلى اندونيسيا او الفليبين.. منظر هذه الكتابة يوحي بذلك.. ربما هي لغة فنلندية كذلك.. ثم فوجئت أن من يرسلها هو ابن الجيران طالب الثانوي. المشكلة هي انني لم استطع قط فهم ما يريد قوله ولا ما دور هذه الارقام في الكلام، إلى أن شرح لي أحد أصدقائي المثقفين أن هذه هي لغة الفرانكو آراب التي يحب الشباب التفاهم بها. رقم 7 يساوي حرف الحاء.. ورقم 3 هي حرف العين.. ورقم 2 هو الهمزة.. يا للتعقيد!.

سألته عما يفعلون لو اردت ان أكتب رقم 237 أو 732... سوف يفترضون انني أكتب ءع ح.. أو ح ع ء.. لكنه قال إنني متشائم كعادتي.. من المستحيل ان تأتي ظروف ترغمني على ذلك..

حاولت ذات مرة دراسة الحروف الروسية ووجدت عسرًا بالغًا في تعلم شكل الحروف الذي لم أعتده، والآن علي ان أستوعب هذه الحروف الجديدة...

أعجبت بفتاة رقيقة واتفقنا على أن نتبادل المراسلات، وانتظرت خطابها الأول في لهفة، فكتبت لي:

areet l ktab da la2eet kalam 3'reeb awii ya gada3!!
7aga l o3'nya l gdeda de gamda a5er

ما هذا.؟ هل هي توجه لي السباب أم ماذا؟.. حاولت جاهدًا أن أقرأ هذا الكلام فلم استطع.. أرسلت أسألها أن تترجم لي رسالتها فقالت:

l moshkla eny barga3 mel kolia 5alsana msh bal7a2 anayel ay 7aga b2yet el youm ana shoft l film bta3 embare7 w kan mor3eb awii

عدت أسالها عن معنى هذا الكلام فكتبت لي:

Bsara7a ana 3adeet 3leek embare7 fel beet w ml2tsh 7ad fel beeet

في النهاية وبعد ما استنفدت كل الحيل المكنة وفشلت تمامًا في فهم ما كتبته، خطر لي أن أعرض الكلام على شخص يجيد هذه الكتابة، ثم عدلت عن ذلك لأنني أخشى ان يكون في كلامها شيء عاطفي أو يفضحني.. بيني وبينك لا أثق بشكل هذه الكلمات..bal7a2 anayel .. تبدو كشتائم بذيئة..

الخلاصة هي انني قطعت علاقتي بها، وقمت بمنع تلقي خطاباتها.. ولست نادمًا على ذلك. لا أحب التفاهم بلغة سكان عطارد لو كنت تفهم ما أعنيه.

لغة الفرانكو آراب تزحف على كل شيء.. هناك شاب من أقاربي يكتب قصائد شعرية عربية فصيحة بهذه اللغة، وأنا لا أمزح.. هذا حدث

فعلاً.. أتاتورك فعل شيئًا مماثلاً عندما جعل التركية تكتب بحروف لاتينية، لكنه لم يجرؤ على أن يضع أرقامًا في تلك الأبجدية..

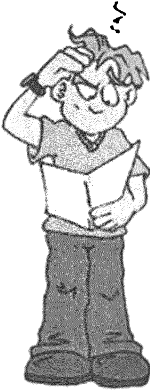
هنا تتساءل سؤالاً منطقيًا: لماذا لا تكتبون عربية جيدة مفهومة؟..

يقولون لأنهم لا يحفظون مواضع المفاتيح العربية.. إنهم يجدون الكتابة بالعربية صعبة فعلاً..

تسألهم لماذا لا يكتبون إنجليزية جيدة إذن؟.. لأنهم لا يجيدون الإنجليزية!.. وهكذا تكتشف ان الفرانكو آراب هي لغة من لا يجيد أي لغة.. لابد أن التفاهم مع سحالي الإجوانا شبيه بهذا..

في النهاية لا تملك سوى أن تقول 7aga Teganen..

بلاغة



منذ أيام وصلتني هذه الرسالة بالبريد الالكتروني، ولا تسأل كيف عرفتْ مرسلة الرسالة عنواني البريدي. هؤلاء القوم يعرفون كل شيء ويخمنون الباقي. غالبًا هم روس أو من شرق أوروبا لسبب مجهول، وأعتقد أن اسم إيريكا يوحي بذلك. النص المنشور هنا أنقله لك حرفيًا وأقسم بالله أنني لم أتدخل في حرف:

"مرحبا صديقي العزيز

"كيف هو يومك الجميل وعائلتك الأمل في أن الجميع من حولك وكذلك غرامة في حالة جيدة من الصحة لأن هناك أكثر من الصحة هو أهم شيء في كل been.Please الإنسان اسمحوا لي أن أقدم نفسي لكم جيدا اسمي إيريكا جئت عبر ملف التعريف الخاص بك اليوم وأصبحت مهتمة لكم، يرجى أتطلع لرعاية الرقيقة جدا صادقة ونفهم جيدا الرجل الذي لا

يعرف ما يتحدث عن الحب ولكن ليس رجل سيضر لي موافق إذا كنت لا تعرف عن الحب أنا بالفعل لمشاركة جميع الوقت حياتي معك لا تتردد واتصل بي في أسرع وقت الظهر، نأمل أن نسمع منك إرسال تقديري لعائلتك.

ايريكا"

هذا هو ما تطلبه الآنسة إيريكا، وأكذب لو قلت لك إنني فهمت ما تريده مني بالضبط.. يبدو شيئًا سلميًا على الأقل. أنت تفهمني.. ربما هي تحاول النصب علي.. ربما تغريني.. ربما هي معجبة بي جدًا.. ربما هي تهددني.. ربما تحاول الحصول على رقم بطاقتي الائتمانية.. كل هذا جميل ومن حقها، لكن لتقل ذلك بكلمات مفهومة..

عندما أكون ضحية أو أحمق فمن أبسط حقوقي أن أفهم ما يقال لي.

طبعًا أنت فهمت الموضوع.. عندما تقول إيريكا: " أن الجميع من حولك وكذلك غرامة " فهي تقصد لفظة Fine التي ترجموها عن طريق الإنترنت، والكلمة قد تعني (بخير) وقد تعني (غرامة). وهي كذلك (مهتمة لكم) وليست (مهتمة بي). أما عبارة " ولكن ليس رجل سيضر لي" فيبدو أنها تدل على ثقتها بي. من أين جاءتها هذه الثقة؟.. السبب بسيط..

لأنها تعرف أنها نصابة وأنني أحمق. ثم تعرض خدماتها بوقاحة " أنا بالفعل لمشاركة جميع الوقت حياتي معك".. لكن في نهاية الخطاب تقول: " تقديري لعائلتك"!...

عجيب جدًا أنها تريد أن تشاركني حياتي وتعلمني الحب ثم تبدي احترامها وتقديرها لعائلتي!. لا أعتقد أن أمي أو زوجتي ستباركان هذه العلاقة كثيرًا..

السؤال المنطقي هنا هو: لو كانت إيريكا تريد أن تنصب علي وتسلبني مالي، فلماذا لم تبحث عن شخص يتكلم العربية ليترجم لها ما تريد قوله؟. الحقيقة أن الكمبيوتر فشل تمامًا في ترجمة اللغات الغربية إلى العربية.. ويبدو أنه لابد من عقل بشري يقوم بهذه المهمة. أذكر أن مجلة (بي سي) جربت برنامج ترجمة للعربية طرح في الأسواق مؤخرًا، وجرب المحررون نصًا إنجليزيًا ليروا ما سيقوله البرنامج. النتيجة كانت شبيهة برسالة الأخت إيريكا. ولاحظ المحررون أن الجهاز ترجم كلمة USB المعروفة إلى (الولايات المتحدة ب).. وهذا جعلهم يشعرون بالرعب.. هناك إذن ولايات متحدة أ وولايات متحدة ب. ويبدو أن الأخيرة أقوى وأخطر من الأولى بمراحل..

جربت أن أترجم بعض الفقرات ببرنامج جوجل، فجربت عبارة:

spare the rod and spoil the child

أترك العصا ولسوف يفسد الطفل. فجاءت الترجمة (تجنيب رود ويفسد الطفل). هكذا عرفت أن الأخت إيريكا بليغة جدًا، لكن والحق يقال كانت الأخطاء مع مترجم جوجل أقل من سواها.. لغته مفهومة نوعًا. وهكذا فكرت جديًا في أن أكتب للأخت إيريكا خطابًا أدعوها فيه إلى أن تجرب مترجم جوجل، ثم عدلت عن هذا.. ربما لو تكلمت عربية مفهومة لاستطاعت خداعي في المرة القادمة.

سبــــام



في كل صباح أفتح بريدي الإلكتروني وأبحث بسرعة بين العناوين.. هناك ذلك العدد القانوني الإجباري من زوجات الزعماء الأفارقة اللاتي توفي أزواجهن بعد ما سرقوا عدة مليارات من الشعب، وهؤلاء الزوجات اخترنني أنا بالذات من بين سكان الكرة الأرضية كي أقاسمهن هذا المال المسروق لأنهن يتوسمن في الأمانة ولأنني موح بالثقة.. طبعًا لابد من مسح هذه الخطابات ومنعها من الوصول، لكن عنوان المرسل يتغير في كل مرة على كل حال..

هناك خطابات من (جينا وصاحباتها) يؤكدن لي أنهن رأين صورتي وأنهن وجدنني وسيمًا لدرجة لا تصدق.. تعال لتقابلنا في الموقع الفلاني.. طبعًا (رأيناك) و(وسيم) كلمتان تدلان على تناقض مخيف.. مثلما تقول (برد حار) أو (شمس مظلمة) أو (فقر فاحش).. امسح. امسح..

هناك النداءات الحارة من طراز (تعال لترى الفنانة الفلانيه عارية) أو (شاهد المطربة العلانية تنزع ثيابها الداخلية).. حتى تشعر بأن الفنانات العربيات لا يفعلن شيئًا سوى أن يتعرين أمام الكاميرا، فلو جربت أن تدخل على سبيل (الفضول العلمي) لوجدت نفسك مطالبًا بالتسجيل في منتدى اسمه (فضيحة) أو (كشف المستور) حتى يحق لك أن ترى هذه الصور.. امسح. امسح...

يطلقون على هذا النوع من الرسائل اسم (سبام Spam) وبصراحة لم أجد لها معنى في القاموس سوى نوع من لحم الخنزير المعلب، لكنها تعني إغراق الإنترنت بنسخ من رسالة واحدة غالبًا ما يكون محتواها إعلانًا عن منتج رديء أو طريقة زائفة للثراء..

من ضمن السبام الشهير تلك الرسالة التي تقول لك وهي تلهث: "لقد عرفنا أن شركة هوتميل سوف تلغي خدماتها المجانية.. أرسل هذه الرسالة لعشرة من أصدقائك كي تعرف الشركة أن حسابك نشط". تلقيت هذه الرسالة منذ عشر سنوات وبدا لي المنطق سخيفًا.. هل الشركة عاجزة عن معرفة إن كنت تستعمل حسابك أم لا؟.. لماذا إذن يتم إلغاء الحساب لو لم تستعمله لمدة ثلاثة أشهر؟.. هل لابد من هذه الطريقة الطفولية؟.. لكن الذعر المعتاد من أن أكون الأحمق الوحيد جعلني أرسل لشركة هوتميل

رسالة مهذبة: "هل تنوون خراب بيت من لا يرسل الرسالة إلى عشرة أشخاص؟".. فكان ردهم أكثر تهذيبًا: "لا تكن حمارًا.. لا تصدق هذه السخافات".

هكذا نسيت الأمر، لكن الأمر لم ينسني...

في كل يوم يصلني خطاب من صديق يحمل عنوان (تحذير مهم).. هنا يتجمد الدم في عروقي وأفتح الخطاب لأجد من يقول: " لقد عرفنا أن شركة هوتميل سوف تلغي خدماتها المجانية.. أرسل هذه الرسالة لعشرة من أصدقائك كي تعرف الشركة أن حسابك نشط".. أمسح الرسالة فأجد بعدها عشر رسائل أخرى كلها تنذرني بالويل والثبور: "ألم تعرف أن شركة هوتميل سوف تلغي.... الخ.. الخ...؟"

أرد على من أرسل لي الرسالة أطمئنه، لكنني نسيت أنه أرسل رسالته لعشرة وهم جميعًا أرسلوا لمائة آخرين... هذه متوالية أبدية لن تتوقف أبدًا.. لا يوجد ما يمنع أن تستمر هذه الأكذوبة إلى يوم الدين.. الآن فقط وصلتني رسالة من صديق عزيز يحذرني من أن هناك خطرًا داهمًا ينتظرني.. قمت بفتح الرسالة فوجدته يحذرني من أن هوتاميل سوف...

في طفولتي وصلتني رسالة ممن يزعم أنه خادم مسجد الرسول (صلى

الله عليه وسلم) وأن علي أن أنسخ عشر نسخ من هذه الرسالة وأرسلها لضحايا آخرين وإلا حل بي الخراب ومت، أو مت ثم حل بي الخراب، وهكذا سهرت ليلة كاملة أنسخ الرسالة وأبكي لأن نحسي جعل الرسالة تقع في يدي بالذات، وقمت بتوزيعها في المدرسة اليوم الثاني، وبعد أسبوع رأيت شيخًا فاضلاً على شاشة التلفزيون يؤكد أن هذه الرسالة لعبة سخيفة لا أساس لها من الصحة ولا لوم على من تجاهلها تمامًا...

الغريب أن هذه الرسالة ما زالت تصلني على بريدي الألكتروني حتى اليوم!... تطور الأمر منذ النسخ اليدوي حتى ظهرت آلة تصوير المستندات ثم ظهرت الإنترنت، لكن الرسالة مستمرة، ومن الواضح أنها ستظل تنتشر حتى في عصر الرسائل الأيونية البيولوجية..

نعم لا سبيل للقضاء على السبام.. إنه مستمر للأبد، ولسوف تأتي دومًا أجيال لم تسمع عن الأمر وتأخذه بجدية..

على كل أنا أنصحك بأن تنسخ هذا المقال وترسله عبر الإنترنت لألف واحد من أصدقائك.. أنت حر.. فقط أذكرك أن من لم يفعلوا هذا صار لونهم أخضر ونبتت لهم عين ثالثة وتساقط شعرهم و صاروا ينطقون حرف الجيم سينًا.. ليت هذا كل شيء.. لقد فوجئوا بأن شركة هوتميل ألغت بريدهم المجاني كذلك!... أنت حر وقد أعذر من أنذر..

قراء متحمسون



يتـيح النـشر الإلكترونـي على شبكة الإنترنت فرصة فريدة للكتاب أن يعرفوا رأي القراء علـى الفور وبدون وسـيط غالبًـا. غـير أن عيار هذه التعليقـات يفلـت كـثيرًا جدًا، لهذا يحجم المرء عن الكتابة في أي موقــع ينــشر التعليقــات مباشرة من دون مراجعة ورقابة، لأن الأرجح أن تتلقـى كمًـا مـن الـشتائم لا يوصـف.. هل لأنك سيئ إلى هذا الحد؟.. لا.. بل لأن من يرد عليك يحتاج إلى إخراج البخار وأنت فرصة سانحة.

على كل حـال قـد صـنفت الـشتائم الـتي يـستعملها بعـض القـراء في المواقع الإلكترونية إلى:

القائمة (أ): شتائم متحضرة وراقية مثل (أنت غير مـسئول – أنـت عميل – أنت غير ناضج.. الخ)

القائمة (ب): شتائم قاسية لكنها قابلة للنشر مثل (مخبول – غبي.. الخ).

القائمة (ج): شتائم قاسية جدًا يعاقب عليها القانون لكنها ما زالت قابلة للنشر، وهي على الأعم أسماء حيوانات.

القائمة (د): شتائم لا يمكن حتى التلميح لها. حالة لا توصف من الانفلات العصبي والعقلي، حتى لتشعر بأن كاتب تلك الكلمات يعوي ويقضم لسانه وهو يكتب.. ربما استطالت أذناه ومخالبه..

هناك طريقة تعليق تثير جنوني وإن كانت لا تندرج ضمن الشتائم، هي أن يكون المقال مثلاً عن الاقتصاد العربي، فيكتب أحدهم تعليقًا يقول: "فريق الأهلي لم يلعب جيدًا في المباراة الأخيرة"، فيرد عليه أحد المتحمسين: "بالعكس.. الأهلي أقوى فريق لهذا القرن". وسرعان ما ينسى الجميع موضوع المقال وتبدأ مشاجرة حامية حول الفريق الأهلي. لا شك أن هذا أكثر استفزازًا من الشتائم. ضمن هذا النوع من الردود القارئ الذي يقرر أن يأخذ فرصته فينشر قصيدة كاملة من خمسين بيتًا كتبها هو، أو المواطن صاحب المشكلة الذي ينشر مشكلته كاملة مدعمة بالوثائق تحت المقال.

صديقي بدأ ينشر على شبكة الإنترنت.. بدأ بنشر مقال من 600

كلمة في موقع شهير. فتحت الموقع لأجد عشرين تعليقًا.. من مصر.. من السعودية.. من الإمارات.. من تونس.. من مهاجر عربي في كندا.. من فتاة لبنانية تقيم في اليمن.. الكل يطري ظهور هذا الكاتب الرائع الذي سيحدث قلمه ثورة في عالم المقال. فعلاً رد فعل غير متوقع وقد أسعدني كثيرًا..

اتصلت به لأهنئه على هذا النجاح الساحق، فشكرني وقال بلا مبالاة:

-"طبعًا لا يخفى عليك أن كل هذه الردود كتبتها أنا!"

وضعت السماعة وأنا لا أخفي إعجابي بقدرته على ابتكار الأسماء وعلى تغيير لهجته أثناء الكتابة، حتى تذكرت فيلمًا سينمائيا مرعبًا كانت فيه عشر أرواح تتقمص بطلة الفيلم. وهكذا ظلت تعليقات المدح تتوالى عدة أيام ثم لم تعد هناك تعليقات على مقالاته بتاتًا فعرفت أنه تعب.

منذ أعوام ظهر موقع صحفي يقدم أشعارًا رديئة لشاعر يدعى (سيد الشماشرجي). بعد متابعة عدة أعداد كتبت للموقع رسالة مختصرة باسم مستعار تقول: "لا أعتقد أن أشعار سيد الشماشرجي جديرة بنشرها في هذا الموقع المحترم. من حقه أن ينشر.. ينشر الخشب أو ينشر الغسيل لكن لا ينشر الشعر"

أرسلت هذا التعليق فلم ينشر.. أرسلته مرة.. مرتين..ثلاثًا.. بلا جدوى..

بعد أيام قابلت أحد المسئولين عن هذا الموقع، فقال لي في فخر إنهم حريصون على المستوى الأخلاقي للموقع، لذا يقومون بمراقبة الردود وتصفيتها من كل ما هو مشين أو وقح. سألته عمن يقوم بهذه المهمة العويصة، فقال لي: إنه شاعر عظيم اسمه سيد الشماشرجي!

منذ ذلك الحين كففت عن إرسال التعليقات. وعلى الأرجح سأكف عن قراءتها كذلك مع الوقت.

حقائق علمية



أطالع مما يملني على شبكة الإنترنت (حقائق) علمية غريبة جدًا.. واضح طبعًا أنها لا تمت للحقائق العلمية إلا في أنها تدل على العته الحقيقي لمن كتبها. مثلاً الغراب عمره 5000 عام... حقيقة علمية يتم تداولها في ثقة.. أهرام الجيزة بناها قوم عاد.. الجمل أسرع حيوان على ظهر الأرض.. الخ. هناك كذلك حقائق يصعب إثباتها مثل أن الدب القطبي لا يعطس...

أنت تعرف قصة بلدينا الذي قرر أن يجري دراسته الخاصة على الذباب. جاء بذبابة وأمرها أن تطير فطارت.. أمسك بذبابة أخرى وقص جناحيها ثم أمرها بالطيران فلم تستطع.. هكذا توصل للاستنتاج: الذبابة إذا قطع جناحاها تصاب بالصمم. الأمر سهل إذن.. قررت أن أدلي بدلوي في هذا السباق وأن أقدم لك بعض الحقائق العلمية التي توصلت لها بنفسي..

1- الكون يصير مهزوزًا وغير واضح عندما تسهر كثيرًا أو تقرأ أكثر من اللازم.

2- أسرع حيوان في العالم هو الكلب الغاضب الذي يطاردك.

3- معظم السيارات تدور بالسباب إذا تعطلت.. جرب أن تشغل المحرك مرتين فإن لم يستجب اشتم السيارة.. سوف تدور على الفور.

4- سوف يزعم علماء الأحياء أن العنكبوت ليس حشرة.. السبب أنه ذو ثمانية أقدام ولا يحمل خصائص الحشرات. طبعًا هذا كلام فارغ.. أنا وأنت نعرف أن العنكبوت حشرة.

5- الأفيال تشرب بخرطومها مثلما تشرب أنت العصير بشفاط. حتى لو زعمت قناة ناشونال جيوجرافيكس أن الخرطوم مجرد أداة ينقل بها الفيل الماء إلى فمه.

6- كل الثعابين سامة. لا تصدق أي كلام آخر.

7- كل الوطاويط تمتص الدم حتى لو زعم علماء الأحياء أن وطاويط أمريكا الجنوبية فقط هي التي تفعل ذلك.

8- علماء الفيزياء يزعمون أن الحرارة تنتقل من الأعلى للأقل.. بهذا المنطق لا يوجد شيء اسمه أن ينتقل برد الثلاجة لك.. ما يحدث هو أنك

تنقل حرارتك للثلاجة فتشعر ببرد. أترك لك التعليق على هذه النقطة.. طبعًا العلماء يخرفون.

9- الذباب يسمع ما تقول ويعرف جيدًا نيتك أن تقتله بالمضرب ، وهذا ينطبق على الطيور التي تحاول صيدها..

10- كل الأجهزة الكهربية تستجيب لضربة بالقبضة على الجهاز.

11- كل أجهزة الريموت كونترول عندها عادة التماهي والاختفاء في البيئة.. إنها كالزواحف.. يستحيل أن تجدها.

12- الديناصور تواجد مع الإنسان في ذات الفترة التاريخية.. ألا ترى أفلام هوليوود؟.. هذه حقيقة علمية.

13- لا تأكل عيني السمكة فهذا يجعلك تكره أبويك (مقولة كانت خالتي تصر عليها).

14- الدببة لا تأكل إلا قشر البطاطس.. زر حديقة الحيوانات لتتأكد من هذا..

15- خنفساء أبي العيد (الدعسوقة) يتم جمع الآلاف منها واستخدامها في صنع الفاصوليا.

16- كم من عصفور بائس يتم انتزاع لسانه لعمل طبق من حساء

المكرونة (لسان العصفور)؟

17- حتى لو زعم باستير وكل العلماء أن اللون الأخضر في جبن (روكفور) هو عفن، فأنا مصر على أنه مقدونس.

18- المياه الغازية تهضم الطعام.. كلهم ينفون ذلك لكني مصر على أنها حقيقة علمية.

سوف اكتفي بهذا القدر من (الحقائق) العلمية بالغة الأهمية وأعدك بأن أخبرك بالمزيد في حلقات أخرى.

هلاوس عن..

الكتابة



عندما تكون مجهولاً



ذات مرة كان (تشارلي شابلن) في ذروة شهرته، لكن قليلاً من الناس يعرفون شكله من دون شاربه وبذلته السوداء الرثة وقبعته، لهذا كان يمشي ذات مرة عندما وجد إعلانًا عن مسابقة لتقليد تشارلي شابلن. دخل المكان ولبس ثياب شارلي شابلن التي قدموها له، وجاءت النتيجة ليكتشف أن ترتيبه بين المتسابقين الخامس!

عندما تكون مجهولاً، تصير الحياة أصعب وأعقد، وهناك قصص كثيرة عن مسئولين تخفوا وخرجوا للشوارع فلاقوا الويل. كان أحدهم وزير مواصلات مصريًا سابقًا قرر أن يجازف ويركب قطار الصعيد كأي مواطن عادي.. ويبدو أن ما حدث له يصلح كي تغنيه الأجيال القادمة كملحمة حزينة..

أنا لست شهيرًا لهذا الحد، لكني حصلت على قسط متواضع من الشهرة يسمح بأن يرحبوا بي في بعض الأماكن التي أكتب لها. لهذا خطر لي على سبيل العبث أن استعمل اسمًا مستعارًا هو (سيد الشماوي) وأرسل قصة قصيرة إلى إحدى المجلات الإلكترونية..

نشرت القصة فانهالت علي (سيد الشثماوي) عبارات السباب باعتباره كناس شوارع قرر أن يجرب كتابة القصة.. إنه قد خرق كل قواعد القصة القصيرة وحطم كل القوانين.. قصته مملة رديئة وخياله ضحل.. المتع أن أحد القراء اقترح على (سيد الشثماوي) أن يقرأ قصصي ليتعلم حلاوة الأسلوب، وكيف يمكن نسج قصة تشد القارئ من البداية للنهاية..

أما عن التعليق على مقال أو خبر ما فالنتيجة أكثر إيلامًا.. إما أن يمر التعليق مر الكرام فلا يهتم به أحد أبدًا، أو يشتمه أحدهم في سخرية باعتباره يكشف عن ضحالة لا شك فيها..

وهنا خطرت لي فكرة مخيفة.. ليس كل ما يكتبه الكتاب المشاهير رائعًا عميقًا، لكنهم يعتمدون على رصيد من الثقة خلقوه لدى القارئ. هكذا يقرأ القارئ المقال أو القصة وهو مستعد لاعتبارها ممتازة.. مثلاً ذلك الكاتب الشهير كتب مقالاً كاملاً في جريدة الأهرام يصف فيه برتقالة!... تخيل لو كتب هذا المقال كاتب غير معروف!.. وبرغم انبهاري التام بنجيب محفوظ، فإن بعض قصصه القصيرة تبدو لي معتمدة على رصيده الهائل السابق لدى القارئ..

القارئ قد يتسامح معي لكنه غير مستعد للتسامح مع (سيد الشثماوي)، لهذا أحمد الله على الظروف التي جعلتني أتخلص من مرحلة (سيد الشثماوي) هذه، وإلا فأنا اضمن المركز الأخير في أية مسابقة تقام لتقليد أسلوبي!

أفكار ذات أجنحة



كنت جالسًا أمام شاشة الكمبيوتر في ذلك المساء الهادئ، عندما لاحظت ظاهرة غريبة: الشاشة سوداء تمامًا.. ليست الشاشة بل الغرفة كلها. وبما أنني متعلم وسريع البديهة فقد أدركت بعد دقيقتين أن التيار الكهربائي قد انقطع.

انتظرت قليلاً فلم يعد التيار الكهربي، وقد تعلمت منذ زمن أن علي أن أتصل بالشبكة وأبلغهم. ذات مرة انقطع التيار الكهربي خمس ساعات، وفي النهاية اتصلت بالشبكة فأخبروني في دهشة أنهم لا يعرفون أي شيء عن ذلك وأن أحدًا لم يبلغهم.. أي أنني لو لم اتصل لظللت في الظلام حتى تقوم الساعة.

سأتصل بالشبكة وأشكو بفظاظة.. هنا وجدت أن الظلام دامس وأنني

لا أرى أرقام الهاتف. قررت أن أبحث عن الكشاف الصيني الذي يتم شحنه، ويضيء في حالات انقطاع الكهرباء ويتلف بعد ربع ساعة من شرائه..

وجدت الكشاف بشكل ما، وبالطبع لم يخيب ظنوني.. كان تالفًا...

يجب أن أبتاع كشافًا آخر؛ لأن ابني في موسم الامتحانات.. ومعنى انقطاع التيار الكهربي الآن أن يضيع مستقبله..

هنا خطر لي أنني ابتعدت كثيرًا جدًا عن موضوع التيار الكهربي ورحت أفكر في عدة أشياء.. ثم خطر لي أن هذه بذرة مقال طريف قصير عن رجل تصمم أفكاره على أن تجري في سبيلها الخاص ولا تستقر أبدًا. سوف أحضر ورقة وأدون عليها هذه الخاطرة لأكتبها كمقال بمجرد أن يعود التيار الكهربي..

أين الورق؟.. لا أذكر أين كان ولا أين كان القلم.. مشكلة حقيقية هي أن تجد شيئًا في هذا الظلام.. لماذا انقطع التيار الكهربي؟.. لابد من إبلاغ الشبكة هاتفيًا.

ثم تذكرت أنني لا أرى أرقام الهاتف.. مشكلة أخرى.. كيف أطلب رقمًا هاتفيًا وأنا لا أرى الأزرار؟.. هناك كشاف.. هذا كشاف صيني قوي لكنه كمعظم الاختراعات الصينية يتلف بعد دقائق من شرائه. آه.. ابني في

موسم الامتحانات ومعنى هذا أن علي أن أشترى كشافًا جديدًا.. هل توجد كشافات صينية لا تتلف أو كشافات غير صينية؟..

سيكون هذا موضوع مقال جميل لا بأس به.. الرجل الذي يعاني تداعي أفكار مرعبًا.. كل فكرة تطير لتحل مكانها فكرة أخرى. يجب أن أدون هذا.. تبدأ الفكرة بانقطاع التيار الكهربي ثم تصير مشكلة الامتحانات و..

لكن كيف أدون هذا المقال من دون ضوء؟

هذه المرة أجد عود ثقاب فأشعله وأتحسس الهاتف لأطلب رقم الشبكة. يتأخر الرد كثيرًا جدًا وفي النهاية يرد علي موظف متذمر لأنني أزعجت نومه. هنا أكتشف أنني نسيت لماذا اتصلت:

-"معذرة.. هل هذا رقم الـ.. رقم الـ..؟"

يقول لي في غيظ إن علي ألا أنتهز فرصة نوم والدي لألعب بالهاتف، ثم يضع السماعة في عصبية. تذكرت!.. هذه شبكة الكهرباء وكنت أريد أن أخبرهم. لكنني لن أجسر على الاتصال الآن..

هنا يعود التيار الكهربي فأشعر بأن الحياة قد عادت لكل شيء.. الكهرباء تعني كذلك الهواء لأن المراوح وأجهزة التكييف تعود للحياة.

أريد القلم والورقة بسرعة .. يجب أن أدون فكرتي..

أيــة فكــرة؟.. نــسيت.. كانــت هنــاك فكــرة جيــدة.. ربمــا عــن الامتحانات؟.. بصراحة لا أذكـر.. لقد تبخـرت تمامًا. لا مـشكلة.. سـوف تعود في وقت لاحق. المهم الآن أن أطلب الرقم الذي كنـت أطلبـه في الظـلام.. يدق الهاتف عدة مرات إلى أن يرد الموظف المتذمر إياه..

أقول له في عصبية وقد نسيت من هو:

-"مستوى الامتحانات الذي تضعونه أعلى بكثير من مستوى الطلبة.. حرام عليكم!"

وأضع السماعة قبل أن يرد..

المقال القادم



حان موعد المقال الذي أسلمه لمجلة شهرية، ولم تكن عندي أفكار على الإطلاق.. لا يوجد موضوع واحد يصلح. المجلة طابعها خفيف ولا تسمح بمقال سياسي جاد أو علمي رصين.. كما أن المقال يجب أن يكون طويلاً كالثعبان...

هكذا رحت أفكر جاهدًا.. رحت أبحث في دفاتري القديمة عن فكرة تصلح.. لا يوجد شيء.. معظم الأفكار كتبتها من قبل أو مملة أو سخيفة أو تافهة أو لا تعني أحدًا.. ما العمل؟.. لابد من تسليم المقال خلال يومين.

هنا اتصل بي صديقي العزيز.. إنه مهموم تمامًا ويتحدث بصوت مبحوح:

ـ"سوف أجري جراحة خطيرة بعد أسبوع.. سوف يستأصلون جزءًا

شعرت بأسف بالغ له.. ورحت أواسيه.. تذكرت أيام الصبا معًا عندما كنا نحب نفس الفتاة وكيف تشاجرنا مرارًا. كيف كنا نقرأ شعر ناجي ونحفظه وكيف كنا نقرأ (آلام فيرتر).. كيف سافرنا معًا للخارج لننام في الشارع ونجمع العنب في فرنسا.. و..

هنا وجدت أنني وقعت على فكرة مقال ممتاز... سأكتب هذا كله دامعًا.. فقط هناك مشكلة واحدة.. سوف يكون المقال رائعًا لو كان في رثاء هذا الصديق العزيز.. لن يقبل أن يموت من أجلي على الأرجح.. هذا صعب... الصداقة لم تبلغ هذا الحد بعد...

اتصلت به أسأله عن الجراحة.. لماذا لا يجريها غدًا بدلاً من إجرائها بعد أسبوع؟.. كنت صريحاً معه كما اعتدت فقلت إنني سأكتب عنه لو مات مقالاً رائعًا.. مقالاً مذهلاً تتناقله الأجيال.. سوف أخلد ذكره لفترة لا بأس بها إلى أن يلقي الناس بالمجلة في القمامة.

كاد يحتج.. لكنني حاولت أن أكون منطقيًا.. قلت له إن الأعمار بيد الله ولست أنا من سيحييه أو يميته. إذن لماذا لا استفيد استفادة جانبية من وفاته؟. لو نجا بحمد الله فلسوف يكون المقال مهمًا كذلك لأنه يتحدث عن

قلقي على هذا الصديق..

وعدت أتوسل له:

-"أرجوك.. اجر الجراحة غدًا.."

-"ولم الاستعجال يا أخي؟"

-"لأنني لن أستفيد بهذا لو حدث بعد أسبوع.. وقتها سأكون في رحلة البحث عن مقال جديد.. أنا بحاجة له الآن.."

هنا وضع سماعة الهاتف في وجهي..

لا ادري ماذا أصاب الناس؟، .. لماذا صاروا بهذه الفظاظة وقلة الذوق؟.. دعك من أنهم لا يساعدون أخاهم المتورط أبدًا..

يبدو أنني حزنت جدًا لأنني أصبت في المساء بنوبة قلبية، وفي المستشفى قال لي الطبيب إن شراييني التاجية مسدودة وإنني بحاجة لتركيب دعامة قلبية في أسرع وقت.. هو ليس مسئولاً عن حياتي بعد أسبوع..

ذاع الخبر فوجدت صديقًا لي في الجريدة يتصل بي.. الوغد يطلب مني أن أجري الجراحة سريعًا لأنه أعد مقالاً ممتازًا عني في حالة لو حدث لي شيء! يريد أن يلحق بعدد بعد غد من الجريدة..

قلت لك إن الناس تغيرت ولم يعد هناك خير في العالم.. وقاحة لا يمكن وصفها.. ليس هذا ألطف شيء يقال لرجل على حافة القبر..

على إن رب ضارة نافعة.. في صباح اليوم التالي كتبت مقالاً جميلاً أودع فيه العالم وأنعي نفسي... لقد جاء الإلهام من حيث لم أتوقع..

لو لم أمت أثناء الجراحة فلسوف يكون مقال الشهر القادم عن فرحتي بالنجاة.. هكذا أكون قد ضمنت موضوع مقالين.. أما لو مت فقد كتبت مقالاً مناسبًا لوفاتي، والأجمل أنه لا توجد مجلة تطالبني بمقال قادم!

البحث عن نكتة



لا يعرف أحد متى بدأت المشكلة ولا كيف. ما لاحظه الناس هو أن النكات التي يحكونها صارت سخيفة جدًا ومكررة. يجلسون في المقهى فيقول أحدهم إن حماته بدينة لدرجة.. لدرجة أن... ثم يكتشف أنه لا يعرف باقي النكتة... نكات الحموات سخيفة دائمًا على كل حال..

جرب القوم حلولاً كثيرة بلا جدوى.. بالفعل يجب مواجهة الحقيقة المروعة؛ وهي أن النكات قد نفدت أو لم تعد تضحك. هرعوا في رعب إلى باب الشعرية والحسين حيث يجلس على المقاهي محترفو تأليف النكات، وهم قوم يتغذون بالحشيش تقريبًا، ولغة الكلام عندهم تتلخص في:

-"هع هع هع.."

حاول مؤلفو النكت أن يخترعوا بعضها.. دخنوا الكثير جدًا من الشيشة وشربوا الكثير من الشاي الأسود، وفي النهاية جاءت ثلاث نكات سخيفة جدًا...

ماذا حدث؟.. هل نضبت روح الدعابة لدى الناس؟. وما السبب؟.. هل هي الضغوط الاقتصادية؟ هل هو الفقر؟..

هرع الناس إلى المترجمين وطلبوا منهم أن يترجموا بعض النكات الأمريكية..هذه يمكن إضافة بعض الشتائم البذيئة والألفاظ العامية لها لتبدو كأنها نكات عربية. بحثوا في المجلات وكتب النكات، وهكذا خرجت إلى الوجود نكات مثل هذه:

ـ"ذهبت إلى الحفل الراقص مع بيومي... تبادلنا أنخاب المارتيني لكن لم نجد أي زيتون نضعه في الكئوس.. وأنا لا أطيق المارتيني من دون زيتون. النتيجة أنني شربت برغم كل شيء!! هاهاها "

والنكتة التالية:

ـ"زوجتي تأخذ السيارة وتتسوق بها ثم تتركها في أي مكان ولا تدفع المخالفات.. الأسبوع الماضي أوقفتُ هي سيارتي أمام مركز الشرطة، لكن الضابط رفض أن يعطيني مخالفة لأن زوجته تفعل الشيء ذاته.. هاها ها!"

نكات أمريكية جدًا.. وكما ترى هي صالحة، لكنها ستؤدي بعد شهر إلى إصابتنا جميعًا بالسكري وارتفاع ضغط الدم ثم نموت بالشلل.

لا يعرفون متى فكر البعض في استخدام الكمبيوتر.. هناك مهندس كمبيوتر قام بعمل برنامج محكم يقوم بتأليف النكات.. يقوم باختيار مصطلح من مصفوفة تضم (حماتي – زوجتي – مدير العمل – رئيس الوزراء) ثم يختار من مصفوفة أخرى تصف أفعالاً، ثم مصفوفة تصف الناتج.. كان البرنامج ناجحًا وقام كثيرون بتحميله من أجل الضحك. وهكذا ولدت نكات مثل (رئيس الوزراء ذهب ليزور ابن خالي في المستشفى فوجد الفيل يلعب الجولف)... ليست نكتة جيدة جدًا لكنها تؤدي الغرض.. وفيما بعد عرف الناس أن الفنانين السرياليين الغربيين قاموا بتجميع النكات كلها لأنها عبقرية...

كانت هناك نكتة قديمة تقول: "وحش بشارب قابل وحشًا بلا شارب.. فطلب منه أن يلعب معه بطيخة، فقال له هل تحسبني سمكة؟.. وانطلق بالدراجة".. كانت هذه النكتة السريالية العميقة المنبثقة من اللاوعي ناجحة جدًا في الماضي، أما اليوم فقد صارت النكات كلها بهذا الشكل..

بعد هذا فكر مهندس ميكانيكي في أن ينشئ آلة عملاقة لصنع

النكات. وكانت هذه الآلة تصدر صوت قطار أرياف عتيق عندما تعمل. كانت تؤلف نكاتًا ممتازة.. لكنها تتلف بسرعة.. وقد جاء فني الصيانة فقام بتغيير الزيت وبعض الصمامات.. المشكلة أنه استعمل زيتًا رخيصًا وهذا جعل النكات سخيفة في الغالب..

لما طالت المشكلة فكر بعض الشباب في تجميع النكات القديمة وتخليلها. وهكذا تكون مشروع عملاق يقوم على وضع النكات القديمة في براميل مع مواد حافظة وخل.. يمكنك أن تجد نكاتًا نسيت أنك تعرفها مثل (مرة واحد اتنين تلاته) أو (واحد عجلة عربيته نامت نزل يغطيها).. ونجح المشروع وباع الكثير جدًا، لكن الشرطة لاحقت هؤلاء الشباب وقبضت عليهم.. لا.. ليس السبب قضية مصنفات ولكن قضية تموين؛ لأن المواد الحافظة التي تحفظ النكات غير صالحة.. وفيما بعد تسمم عدد من المواطنين جلسوا على مقهى يتبادلون النكات..

الحقيقة أن الحياة صارت قاسية جدًا من دون نكات، وبدا ان المستقبل مظلم.. لكن الفرج كان قريبًا، وهذا ما سنعرفه في الحلقة القادمة.

مجاعة النكات



كما قلنا في الحلقة السابقة، صارت النكات شحيحة جدًا وسخيفة، وفشلت معظم محاولات الترجمة أو استخدام أدوات الذكاء انصناعي لكتابة نكات جديدة.. كما أن الآلة التي ابتكرها مخترع لصنع النكات فشلت وصارت نكاتها سخيفة جدًا.. قام الشباب بتخليل النكات القديمة في براميل على سطح البناية، لكنها تلفت وسببت التسمم لمن يسمعها..

كان أول من فكر في التنقيب في الصحراء قرب وادي الملوك هو المستكشف المصري حمادة فرفشة، الذي خطر له إن المصريين القدماء كانوا يحبون المزاح.. فلابد أن عندهم بعض النكات، وقد وجد ما يريده في مقبرة فرعونية تحمل رقم 122 في وادي الملوك. هناك ناووس جنائزي كامل

كتبت عليه نكات باللغة الهيروغليفية، وقد راح حمادة فرفشة يترجم هذه النكات ثم قدم لنا هذا الكشف الصاعق في مؤتمر الآثار الفكاهية العاشر..

مثلاً اسمع هذه النكتة: "الناطق باسم آمون لا يفرط في شرب الجعة، لأن طويل الظلال قد مر على حقول الحنطة وهو ثمل... هاهاها".

وهذه النكتة: "باسم الناووس المقدس تلتهم أفراس النهر التماسيح التي تكاثرت في بوباسطي.. ها ها ها!"

لم تلق النكات نجاحًا كبيرًا وإن أضحكت بعض الناس من الغيظ، لأنها أسخف من قدرتهم على التحمل. هكذا توقفت عملية استخراج النكات الفرعونية.

لم تترك الصين الفرصة دون أن تدلي بدلوها وسرعان ما جاءت عبوات كاملة من النكات الصينية في صناديق أنيقة. تفتح العلبة لتجد طريقة الاستعمال.. في العبوة مئة نكتة على غرار:

ـ "إن وانج – هو ينتظر طويلاً حتى تنمو أشجار السرو تحت قدميه.. هاها"

ـ "التنين الأخضر يحتسي الخمر قبل أن يحلق فوق المدينة المحرمة.. لهذا نراه.. ها ها"

لم تلق النكات الصينية رواجًا كبيرًا ربما لعيوب الترجمة.. لكن قيل إنها ممتازة لدرجة أن عدة أفراد من الجالية الصينية توقف قلبهم من كثرة الضحك.. لم يتحملوا كل هذا الظرف. وقد مات رجل أعمال صيني وهو يردد: "وانج هو ينتظر.. هع هع هع!..."

سقط نيزك قادم من الفضاء الخارجي، وقد هرع العلماء ليفتحوه فاكتشفوا فيه مجموعة من النكات القادمة من المريخ، وقد سبب هذا الاكتشاف العلمي موجة من التفاؤل.. يمكن أن نبحث في الفضاء الخارجي عن نكات إذن. وبعد جهد جهيد ومع تعاون العقول الالكترونية في عدد من الدول استطاع العلماء استخلاص نكتتين:

- "بلبث ؤس### ...)))$$$ @@_````! ++ ' للل؛"

- "^^^$$#^#@.&#(_$).^@!^&(.+>×ii؟؟؟آ"

لم يفهم أحد أي شيء.. لكن العلماء لاحظوا أن هذه النكات راقت للسحالي التي سمعتها جدًا.. حتى ان بعض السحالي فقدت وعيها من فرط الضحك. هناك عالم أصيب بنوبة قلبية ومات من الضحك.. وقد اكتشف العلماء لدى تشريحه أنه جاسوس متخفٍ من المريخ..

استمرت مأساة البحث عن نكتة لفترة طويلة جدًا، وفجأة صدر

كتاب يحمل عنوان (نكات جديدة). اشتراه بعض الناس في حذر..وفجأة تعالت الضحكات من كل مكان. تقطعت الأنفاس ضحكًا وهم يقرءون هذه النكات الجديدة المضحكة جدًا...

هناك صحفي أصابه الفضول فراح يبحث عن مؤلف هذا الكتاب. عرف أنه شاب مغمور فكر في طريقة بارعة للتغلبِ على شح النكات. قام بمتابعة المحللين الاستراتيجيين والمفكرين الاقتصاديين في العالم العربي، خصوصًا من يطلون على شاشة الفضائيات في كل يوم. لم يفعل الشاب سوى أن نشر نظريات هؤلاء العباقرة فكانت النتيجة أنها أظرف نكات قيلت منذ عشرين عامًا..

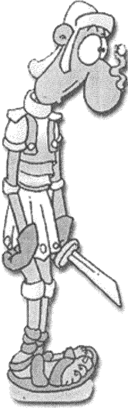
وهكذا انتصر المفكرون والمحللون الاستراتيجيون على أزمة النكات، وعادت الضحكة إلى وجوه الجميع.

هلاوس عن..

السينما



دقة أم تحذلق؟



هناك أخطاء عديدة في الأفلام السينمائية..

هذا صحيح. عندما تشاهد محاربًا في جيش صلاح الدين يلبس ساعة رقمية، أو ترى إحدى العربات الحربية ذات الخيول تخترق ساحة سيركوس ماكسيموس في فيلم المصارع، وهي تقذف النار ودخان العادم، أو ذلك الخطأ الشهير في نفس الفيلم عندما ظهر واحد من المصورين وهو يمشي بثيابه العصرية وسط ميدان القتال، فبدا يخترق صفوف الجنود الرومان غير مبال بشيء..

عندما ترى هذا تدرك ان الدقة مهمة جدًا..

في مسلسل مصري يدور أيام حرب الاستنزاف (1969) ترى الراقصين في ناد ليلي يرقصون الراب على أغاني مايكل جاكسون، وفي فيلم القاهرة 30 يتكلم الرجل وهو يضغط على قلم جاف زنبركي، وهو نوع لم

يكن اخترع وقتها.. الخ...

كل هذا جميل، ولسوف تكتشف عندما تتصفح شبكة الإنترنت أن الأخطاء كثيرة جدًا ومضحكة. المشكلة هي أن تتبع هذه الأخطاء صار هواية في حد ذاتها، وبطريقة تضايق المشاهد فعلاً. في مشهد إنساني ساحر من فيلم (إنقاذ المجند رايان) لاحظ أحد المشاهدين الغربيين أن الأم تنهار بينما حقول القمح نامية.. وهذا لا يمكن أن يحدث في توقيت أحداث الفيلم. لاحظ مشاهد دقيق آخر أن الصلاة التي يؤديها الغارقون على ظهر التيتانيك لم تكن قد كتبت عندما غرقت السفينة، وكذا لاحظ آخر أن الفرقة تعزف لحنًا تمت كتابته بعد غرق السفينة بعشر سنوات..

بعد قليل تشعر بعدم الراحة وبأن هذه الدقة تجاوزت حدها فعلاً. هؤلاء قوم يشاهدون الأفلام للبحث عن أخطاء وليس لمتابعة القصة. في الماضي كنت تدخل السينما مجبرًا على متابعة التجربة، ولو أردت أن تعيد لقطة ما فعليك أن ترى الفيلم ثانية.. ثم ظهر الفيديو ومعه جاء تثبيت اللقطة. على فكرة أكثر اللقطات تثبيتًا في تاريخ الأفلام – كما قالت مجلة امباير البريطانية – هي لقطة الذبابة التي تسللت إلى فم الممثل وهو يصرخ في فيلم (غزاة تابوت العهد المفقود). بعد الفيديو جاء الدي في دي.. هكذا تحول الناس إلى أمة من الذين يعيدون رؤية اللقطة مرارًا.. وهكذا عرف الناس

للمرة الأولى أن أسنان القرش المطاطية في فيلم (الفك المفترس) تنثني.. وللمرة الأولى سقطت هيبة الفيلم وقال أحدهم إن مؤثراته الخاصة ضعيفة ومخجلة!

تدمير المتعة.. هدم الإيهام.. هذا ما يفعلونه بلا توقف.. إن بعض التجاهل مفيد.. دعك من أنني ضعيف الملاحظة أصلاً. في فيلم (دكتور برناسوس) لم ألحظ أن بطل الفيلم نفسه تغير إلا عندما أخبرني أصدقائي بذلك!

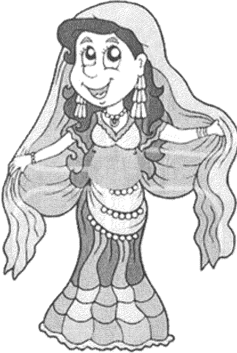
أما عن هواة الدقة في عالم الواقع فهم يستحقون عدة مقالات. تحكي عن ثورة أكتوبر في روسيا التي أدت لذبح آل رومانوف، فيستوقفك أحدهم: من قال إن آل رومانوف ماتوا بسبب الثورة؟.. تقول له: مثلاً يا سيدي.. مثلاً. لكنه يتوقف عند هذه النقطة فلا تستطيع الاستمرار.

هؤلاء الذين تقول لهم صباح الخير فيوقفونك عند حدك.. لا يوجد شيء اسمه صباح الخير وإنما هو نعمت صباحًا.. تحكي عن بونابرت وطموحه فيؤكدون إن بونابرت لم يكن طموحًا وإنما زوجته أوجيني هي التي كانت ترغمه على ذلك.. الخ..

الدقة!.. الدقة شيء مدمر... شيء كالملح.. بعضه يكسب الطعام مذاقًا شهيًا لكن الإفراط فيه يجعل الأكل عملية انتحارية ويفسد شهيتك...

وإذا كانت الدقة مطلوبة في تجربة لقياس شحنة الالكترون فهي غير مطلوبة بنفس القدر في فيلم عاطفي. لا أحد يطالب بأن يمشي المخرج أمام الكاميرا ويكلم الأبطال، لكن لا بأس بأن تكون تسريحة شعر البطلة متأخرة عامين أو أكثر عن تاريخ القصة.. ألا ترى هذا معي؟

كباريه



عندما ترى الأفلام العربية القديمة (أبيض وأسود) تشعر بأن الكباريه مكان مهم جدًا للإنسان. لابد من الذهاب للكباريه ليلاً كنشاط بشري طبيعي. يجب هنا التفرقة بين الكباريه والتياترو والخمارة.. التياترو كما يدل الاسم هو مكان أقرب للمسرح الذي تقام عليه الاستعراضات. بما أن معظم الناس لا يقدرون على ارتياد تياترو حقيقي، فإن أفضل طريقة هي أن تأتي لهم بالتياترو إلى السينما.. هكذا يكون الفيلم استعراضيًا غنائيًا حافلاً. الخمارة مكان غير أنيق يجلس فيه اللصوص خلف زجاجات (النبيت) المنتفخة المغلفة بالقش، ويطلقون عليها اسم (فياسكات). بعد انتهاء الرقصة يهشمون هذه

الفياسكات فوق رءوس بعضهم.

لم أر أي كباريه في حياتي ولا أعتقد أنني سأفعل. هناك تجمع لا بأس به من الكباريهات في شارع الهرم على ما أعتقد، لكن لم أر مكانًا يستعمل لفظة (كباريه) إنما هم يسمون المكان (كازينو) أو (ناد ليلي). هناك كذلك الكباريه السياسي الذي قدمه الفنان الراحل فايز حلاوة، ولا يحمل سوى تشابه الاسم مع كباريه الأفلام.

هناك يذهب بطل الفيلم ليشرب كل شيء في البار عندما تتخلى عنه حبيبته. هناك أنماط إجبارية.. لابد من ستيفان روستي يدخن السيجار ويراقب الصالة من مكان خفي، وعيناه على الزبائن الأغنياء.. ثم يصدر أمره لفتاة من فتيات الصالة كي تقصد تلك المائدة أو تلك لأن من يجلس عليها ثري ريفي أبله مولع بالنساء. تذهب هناك وتجلس مع الثري وتطلب منه أن يدعوها لكأس يا (حبيبي). هذه فرصة ممتازة لروستي كي يقول عباراته التي يحفظها الناس مثل "الكونياك مشروب الفتاة المهذبة".. "حاتحزم وآجي".. "اليوم ده باين من أوله". في تلك الأيام السعيدة كان ستيفان روستي يخطط ويرسم الألاعيب من أجل رجل ثري يملك خمسة آلاف جنيه.

لو كان مدير الكباريه مسالمًا وديعًا فهو من طراز حسن فايق الذي لا يكف عن تكرار: "كونتراتو.. كونتراتو.. كونتراتو". لأن أداء البطل أو

البطلة أثار ذهوله.

كل الأرمن الذين دخلوا مصر يومًا تم استغلالهم في دور البارمان.. هذا هو الاستغلال الوحيد للغربيين في السينما المصرية.

هناك كذلك موائد يجلس عليها الحرامية.. وهم حرامية جدًا جدًا، وفي الأفلام القديمة كانوا يلبسون فانلات مخططة بالعرض. لا تعرف ما يسرقون ولا ما يدبرون له، لكنهم على الأرجح لا يسرقون إلا لشراء الخمر التي يشربونها طيلة الفيلم.

هناك الفتاة البريئة المرغمة على مجالسة الزبائن لأن أمها بحاجة إلى دواء. هنا يمضي ستيفان روستي أسعد أوقاته لأن تعذيب هذه الفتاة يناسبه جدًا. هناك امرأة أخرى مع ستيفان روستي هي امرأة خبيثة شريرة تنتمي لنوعه. إن التفاهم بينهما ممتاز وهي قادرة على تعذيب البطلة البريئة أكثر منه بمراحل.

ثم تظلم الأضواء، ويبقى ضوء خافت يلاحق راقصة شرقية.. هنا نلاحظ ظاهرة غريبة تميز الكباريه.. لا شيء يحدث أثناء الرقصة أبدًا.. لا أحد يقاطع إنما ينتظرون حتى تنتهي. ذات مرة كان هناك رجل شرطة يطارد لصًا خطرًا.. دخل الاثنان إلى كباريه أثناء الرقصة، فجلسا في أدب

حتى انتهت الرقصة، ثم عادت المطاردة.. كل شيء في العالم يتوقف لحظة الرقصة ويعود بعدها..

لا شك أن الكباريه مكان ممتع كما نراه في الأفلام العربية القديمة. مثلاً هناك ظاهرة جذابة هي أن المطرب يظهر على المسرح فتخرج الموسيقا من فمه مباشرة.. لا توجد فرقة.. مجرد فتح الفم يؤدي لخروج موسيقا ممتازة..

هناك طرق مذهلة لتغيير المناظر.. المكان ضيق لكن فريد الأطرش يحلق فوق السحاب ومعه إسماعيل يس بينما ترقص سامية جمال، ونرى سوريا ولبنان ومصر.. هذه حيل لم يصل لها أعظم مخرجي برودواي بعد..

نعم.. الكباريه مكان مثير وغريب كما نراه في الأفلام.. فلا عجب أن ابني وهو في سن السابعة رأى بعض الأفلام العربية القديمة، فقال لي دامعًا: بابا. نفسي أروح كباريه!. لم أجرؤ على أن أخبره أنني لم أر أي كباريه في حياتي حتى هذه اللحظة.

حتميات



مع كثرة المشاهدة للأفلام السينمائية تتعلم أن هناك مشاهد حتمية لابد من حدوثها في أفلام عديدة. الناقد روجر إيبرت تحدث عن مشهد عربة الفاكهة، وهو مشهد يمثل أي مطاردة تتم في سوق شرقي في الأفلام الغربية. البطل يركض في السوق المزدحمة، ثم تعترض طريقه عربة فاكهة.. يثب فوقها بينما تسد العربة الطريق تمامًا أمام الأشرار.. اللقطة التالية للبائع يصرخ مهددًا بقبضته. كم مرة رأيت فيها هذا المشهد؟.. يبدو أنه تقليد إجباري في أي فيلم أكشن يدور في الشرق. هناك مشهد المشاجرة في مخزن قش.. انا أحفظ هذا المشهد جيدًا.. لكمات. ثم يحمل أحدهم شوكة القش الثلاثية ويحاول طعن الآخر.. طبعًا ينتهي المشهد بمصباح كيروسين يسقط ويسكب ما فيه.. من ثم يشتعل المخزن كله. غالبًا يفر البطل وهو

يحمل على كتفه البطلة التي فقدت وعيها.

ننتقل الآن إلى الأفلام العربية. تقريبًا لابد أن ينتهي اي مشهد مطاردة قرب قضبان القطار بأن يسقط الشرير تحت قطار مسرع. لابد من مشاجرة في نهاية الفيلم يتم فيها تبادل اللكمات بقوة، مع نفس الحركات المحفوظة التي تعلمها المثلون من عم (طوخي) أقدم مصمم حركات خطرة في السينما المصرية، ما لم يكن هو نفسه طرفًا في المشاجرة، ومع هذه اللكمات تسمع صوت قطع الخشب تصطدم ببعضها (طاخ طيخ) لأن المسئول عن المؤثرات الشخصية يضرب قطعتي خشب ببعضهما جوار مكبر الصوت. لابد من إعطاء البطل – وهو غالبًا رشدي أباظة أو فريد شوقي – الفرصة ليستمتع بالضرب.. ولهذا ترى سيارات الشرطة تتجه لمكان الحادث في بلاهة وبلا عجلة. يجب أن نصل بعد القتال حتى نعطي البطل فرصة ممارسة بطولته، وفي ذلك الوقت كان مشاهد السينما يشعر أنه خدع لو لم يسمع فريد شوقي يقول: "يا عدوي" أو "وشرف أمي"... هذا بالطبع بعد ما يكون قد قال "سامو عليكو" وحاول أن يتحاشى القتال.. بالنسبة للموسيقى التصويرية، غالبًا هي مسروقة من جون باري أي من أفلام جيمس بوند. الأفلام المرحة تستعمل لحنًا واحدًا هو لحن (في أثر الثعلب) فيلم بيتر سيلرز الشهير، مع الإفراط في غمزات العين والنظرات (الشقية) من سعاد حسني..

في السينما المصرية يعتبر التدخين وسيلة اتصال ممتازة.. قف عند مدخل الفندق أو الكباريه واشعل سيجارتك.. هنا يظهر لك رجل العصابة من تحت الأرض ليقول بطريقة درامية مفضوحة: تسمح تولع لي..؟.. هكذا يتم الاتصال. أحيانًا يكون طلب إشعال السيجارة وسيلة للتحرش. لأن اللكمة ستنهال عليك بعدها.. خاصة من ذلك المثل الأصلع الضخم الذي يظهر في كل أفلام الأكشن ، .. سوف يوسعك ضربًا..

هناك مشاهد إجبارية في اللاحات، وهي تروق لمخرجين مثل حسام الدين مصطفى بالذات.. القوارب المدببة (الكانو) التي يقف فوقها الصيادون ويغرسون المجاديف في طين القاع. هذه أشياء حتمية بدورها، خصوصا أن اللاحات هي مكان إخفاء المخدرات دائمًا.

ما دمنا تكلمنا عن رشدي أباظة، فالمخرج ورشدي نفسه يعرفان أن المشاهدات سوف يغتظن جدًا لو لم يرقص رشدي وهو ثمل حاملاً العصا وشعره ساقط على وجهه.. لابد من ضحكة مفتعلة يطوح فيها برأسه إلى الخلف وينفجر: ها ها هاه.. هذه أمور تعجب المشاهدات جدًا..

لا يستطيع أي مخرج أن يقاوم مشهد المحاكمة، حيث يقف المثل الكاسكيت على رأسه ممسكًا بالقضبان، وهو يصرخ: أنا بريء.. أنا بريء.. هنا لا يوجد قضاة متعجلون أو نافدو الصبر. الكل ينتظر حتى يفرغ

الممثل من شحنة التمثيل التي تؤرقه.. ينتظرون في صبر حتى ينهـي كـل مـا يريد قوله. وفي النهاية يقول القاضي بوقار: حكمـت المحكمـة علـى المتهم بالإعدام شنقًا...

هذا يعطي الممثل فرصة ذهبية لمزيد من الصـراخ الهـستيري والتعلـق بالقضبان. المشكلة أن هؤلاء القوم مخلصون فعـلاً ومـصممون علـى أن يعملـوا بقدر ما قبضوه من مال.. كلما كان أجره عاليًا كلما كان صراخه مرعبًا..

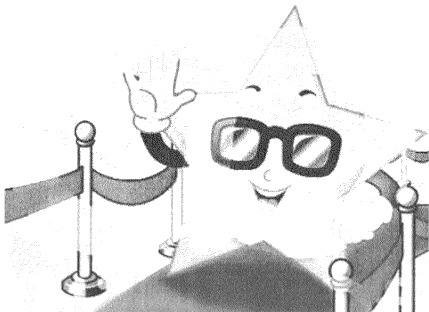
هذا هو ما استطعت تذكره ، وأعدك أن أعود ثانيـة إلى هـذا الموضـوع ذي الشجون.

هلاوس عن..

الناس



لا يعرفونه جيدًا



من القصص الظريفة ذات المغزى قصة الإسكندر الأكبر عندما مشى في السوق على صهوة حصانه، فمر بالفيلسوف (ديوجين). (ديوجين) هو من الفلاسفة الكلبيين الذين رأوا أن حياة الكلاب هي أفضل حياة ممكنة: لا يريدون شيئًا من الحياة، ولا يخشون الموت. عرض الاسكندر على ديوجين أن يحقق له أي طلب يطلبه، فكان رد الفيلسوف وهو جالس على الأرض:

-"طلبي الوحيد أن تبتعد قليلاً لأنك تحجب عني الشمس!"

طبعاً كان (ديوجين) يعرف أن من يكلمه هو الإسكندر الأكبر شخصيًا، لكن الأمر يزداد تعقيدًا عندما لا يعرف الطرف الثاني أهمية الطرف الأول. هذا الموقف الصعب مر به أكثر من مسئول حكومي جديد قرر أن يدخل المصلحة الحكومية الفلانية (على سبيل الزيارة المفاجئة) من دون أن يعلن عن قدومه.. يحدث الصدام منذ اللحظة الأولى عندما يستوقفه رجل الأمن أو الخفير على البوابة ليسأله في غلظة:

-"إلى أين يا أستاذ؟"

رجل الأمن لا يعرفه ولم يره من قبل.. هنا يتلقى المسئول درسه الأول: أنا لا أبدو مهيبًا ولا مهمًا!.. ربما أبدو لصًا كذلك لأن الخفير يرتاب بي.. لو لم يحط بي الموظفون لما عرف أي إنسان إنني ذو قيمة.. منصبي هو قيمتي الوحيدة لكن لا قيمة لي كإنسان..

يصمم على أن يدخل. هنا يقرر الخفير أن يرتفع بمستوى وقاحته وغلظته إلى درجة أعلى. وفي النهاية لا يحسم هذه الأمور سوى موظف يعرف المسئول الكبير فيسرع ليدخله مذعورًا، وهو يكرر العبارة الشهيرة:

-"لا تؤاخذني سعادتك.. من لا يعرفك يجهلك.. تفضل!"

أحيانًا يتصاعد هذا الموقف إلى درجة عالية من مسرح اللا معقول. يحكي الكاتب الساخر المصري (محمود السعدني) عن اليوم الذي أطلق فيه

سراحه من المعتقل، وكيف نقلته سيارة إلى مديرية أمن الجيزة. هناك وقف مربوطًا بالأصفاد إلى يد جندي بسيط يحرسه، وكان معهما ضابط صغير السن اضطر للذهاب للحمام لبعض شأنه.

هنا برز مدير الأمن شخصيًا وكان يعرف الكاتب الكبير وقرأ له كثيرًا، فصاح في دهشة:

-"أستاذ محمود ؟.. تفضل إلى مكتبي.. فك هذا القيد يا فتى"

كانت المفاجأة أن الجندي البسيط قال في عناد:

-"لن أفك هذا القيد إلا بأوامر من الضابط الذي يرافقني!"

بدا الأمر غريبًا بالنسبة لمدير الأمن. بدا مضحكًا كذلك، وحاول إقناع الجندي أنه مدير الأمن.. يعني هو أعلى رتبة من أي ضابط يعرفه، لكن الجندي كان صارمًا:

-"أنا لا أعرفك.. ولن أفك القيد إلا بأوامر من الضابط الذي يرافقني!"

وفشلت كل محاولات الإقناع.. إلى أن ظهر الضابط الصغير مذعورًا ليعرف بالكارثة التي حدثت في غيابه، فانهال بالتقريع على الجندي.. وأصدر الأمر السحري:

-"فك هذا القيد!"

هنا أخرج الجندي المفتاح وفك القيد وهو يرتجف وقد أدرك أنه أحدث كارثة. لكن مدير الأمن ناداه وسأله عن اسمه ثم دس في جيبه عشرين

جنيهًا، قائلاً:

ـ"أحسنت!... لا تطع مخلوقًا سوى الضابط الذي يرافقك.. تذكر هذا!"

واصطحب الكاتب إلى مكتبه. طبعًا انتهى الموقف على خير، لكن الضابط الكبير بالتأكيد أصيب بذعر وهو يرى سلطته لا تحدث تأثيرًا. الجندي لا يعرفه لهذا لا يحمل نحوه أي التزام ولا يظهر نحوه أية هيبة. هذا موقف غير معتاد فعلاً.

أما عن ذلك المسئول المهم الشره الذي طلب من سائقه الخاص بعض الطعام الشعبي، فقد توقف به السائق في زقاق ضيق ونزل ليجلب له المطلوب. هنا أحاط به الأطفال المتسكعون الذين لا يعرفونه ولا يهمهم أن يعرفوه. ووقفوا يسخرون منه.. وفي هذه اللحظات القاسية عرف أنه بدين وأنه أصلع وأن مشيته تثير السخرية، وأنه أخنف... هذا كلام لم يقله له أحد من قبل، ولم يجرؤ واحد على قوله.. عندما عاد السائق بلفافة تنبعث منها رائحة الطعام الساخن، شخط في الصبية ليصرفهم فانطلقوا يجرون..

ناول المسئول اللفافة لكن هذا أعادها له.. لقد فقد شهيته للطعام نهائيًا.. لا أعرف باقي القصة ولا أعرف إن كان المسئول قد انتحر أم لا، لكني لن أندهش كثيرًا لو كان قد فعل ذلك!

شم نسيم



لـــــيس واضـــحًا ذلـــك المصدر الذي جاء منـه مفهـوم شم النـسيم للثقافـة المـصرية. هنـاك مليـــون تفـــسير ومليـــون قـــصة،

لكن الحقيقة غير واضحة، وطبعًا أقـرب التفسيرات للـصواب هـو أنـه عيـد فرعوني قديم. أعتقد أن هناك في الثقافة الفارسية عيد اسمـه (سـيزده بـدر) يماثلـه بالـضبط.. بالنـسبة لليهـود يتـزامن مـع عيـد الفـصح، وبالنـسبة للمسيحيين يتزامن مع عيـد القيامـة. الخلاصـة أنـه لغـز قـديم في الحـضارة الإنسانية. ما علاقته بالبيض؟.. لا أحد يعرف..

هناك أشياء ارتبطت بهذا اليـوم مثـل أغنيـة سـعاد حـسني (الـدنيا ربيع والجو بديع)، وهناك أغنية الربيع لفريد الأطرش والصراع الدامي بين

عبد الحليم حافظ وفريد الأطرش على الفوز بالجمهور في تلك الليلة. على أن المصري يعرف شيئًا واحدًا في ذلك اليوم؛ هو الزحام.

سأحكي لك عن ذكرياتي كطفل مع ذلك اليوم: لسبب ما كان أهلي يعتبرون هذا اليوم مهمًا جدًا، وكان هذا مصدر تعذيب لي. أولاً هناك جلسة تلوين البيض ليلاً.. من المفترض أنها جلسة ممتعة جدًا لطفل، لكنك عندما تمارسها عامًا بعد عام ومع نفاد الأفكار تتحول إلى تعذيب. حتى اللهو إذا أرغمت عليه يتحول إلى عذاب. ثم تنام لتكشف أنهم يضعون بصلاً أخضر تحت الوسادة.. لابد أن جدك (آمون حتب) كان يفعل هذا لكن ما ذنبك أنت؟..

في صباح هذا اليوم تريد أن تنام براحتك لكنهم يوقظونك في السادسة صباحًا لسبب مجهول. تبدأ مسيرة التحرك إلى مكان بعيد يقع على ضفة نهر. تحمل معك لزوم النزهات الخلوية والماء والبيض.. الخ. عندما تصل هناك مرهقًا فاقد النطق، يكون عليك أن تجد مكانًا وسط الزحام، ويكون عليك أن تلقي بالبصل الذي كان تحت الوسادة في مجرى الماء.. يسبح البصل مع التيار.. البصل الذي يسبح أسرع سيمضي صاحبه عامًا من النشاط.. أما البصل الذي يتوقف فصاحبه سيمضي عامًا خاملاً، وربما يرسب في المدرسة!. الآن تبدأ عملية التهام البيض الذي قمت بتلوينه. لحسن الحظ لم

يكونوا ممن يأكلون الفسيخ خارج البيت، لهذا يبدأ جمع كل شيء للعودة في رحلة شاقة أخرى إلى البيت.

في البيت تبدأ طقوس أكل الفسيخ أو الرنجة.. الفسيخ هو سمك له مظهر السمك المتعفن وله رائحة السمك المتعفن، وله منفعة السمك المتعفن. هل تعرف السبب؟.. لأنه سمك متعفن ببساطة شديدة. لو كان قدماء المصريين يأكلون هذا الطعام فلا عجب في أنهم اختفوا. منذ أعوام طلبوا مني لقاء إذاعيًا للكلام عن الفسيخ.. كيف تتقي شره؟.. وكان رأيي ببساطة هو أن الحل الأمثل هو ألا تأكله. حل سهل ورخيص. لكن المذيعة كانت مصرة على أن انصحها بألا يأكل الناس الفسيخ فاتح اللون.. وقد فعلت ذلك في النهاية..

هكذا تعصر ربة البيت ليمونة على الفسيخ وتصب بعض الزيت، ثم يلتف البيت حول هذه الوجبة المرعبة. تساعدهم قضمات من البصل الأخضر. بعد الأكل يشعر المرء بأنه يحمل تنينًا ينفث النار في بطنه.. هكذا لابد من الكثير من المياه الغازية. يمكنك سماع المهاد التحتي في قاع مخك يتذوق الدم.. يفاجأ بأنه مالح جدًا جدًا حتى ليوشك على أن يموت.. هكذا يصدر أوامره لتشعر بظمأ حارق. إن مهمته أن يحتفظ بملوحة الدم عند درجة معينة.. هكذا ستشرب الكثير جدًا من الماء لتعادل هذا الملح فيتحول بطنك إلى قربة موشكة على الانفجار. أما عن ارتداء ثياب أو سراويل بحزام

بعد هذا فمستحيل..

عندما تصحو من القيلولة ليلاً تشعر بأنك عائد من الجحيم. تتساءل عما حدث لك وما علاقة هذا بالاحتفال بالربيع. على قدر ما تذكره أنت لم تر زهرة واحدة طيلة اليوم.. بل إنك لم تشم النسيم قط.. ما شممته هو الفسيخ.

أما عن الذين يذهبون للحدائق فلا يرون أي شيء سوى الزحام. في حديقة الحيوان تصاب الحيوانات بانهيار عصبي وتمرض لمدة شهر بعد ذلك اليوم..

الميزة المهمة لكونك قد كبرت وصرت مسئولاً عن أسرة، هي أنك لا تحتفل بشم النسيم.. تنام كما تريد في ذلك اليوم، وتصحو فتتناول إفطارًا عاديًا وغداء عاديًا.. النصيحة المثلى هي أن تظل في البيت فلا تخرج أبدًا.. صحيح أن نداء الأجداد يتحرك في دمك، لكن عليك أن تتركه وشأنه. على الأقل يمكنك أن تتحمله أفضل من ملح الفسيخ.

مهرجان ألوان



دعك من الخلفيات السياسية لما يحدث في مصر الآن، ولندع لها بالسلامة... أرجو أن تنجح المقالة التالية في رسم ابتسامة على شفتيك..

مهرجانات الألوان..

أنت تعرفها.. تقليد شائع في الهند ولربما هو عيد ديني كذلك، حيث يحتشد الناس ويسكبون الألوان بسخاء على بعض.. أعتقد أنها ناجحة باعتبارها من الفرص القليلة التي تسمح للمرء بأن يكون أبله..

ثم بدأت هذه الموضة تتسرب إلى المدارس المصرية التي ينعم تلاميذها بشيء من السعة المالية، وصارت كل مدرسة خاصة تقيم مهرجانًا للطلبة

يتبادلون فيه سكب الألوان على بعض ويضحكون ويهرجون..

قريبنا مراهق في السادسة عشرة من عمره وطالب في إحدى مدارس القاهرة.. كان حظه العاثر أن أقامت مدرسته مهرجان ألوان يوم السبت.. السبت الذي اشتعلت فيه المظاهرات في مصر من جديد، وجاءت الأنباء من ميدان التحرير عن اشتباكات وعن رجال شرطة يطلقون الرصاص على المتظاهرين ودماء.. و..

لكن الفتى كان مصممًا على الاستمتاع، لذا ذهب للمدرسة وحضر الحفل وتلقى في وجهه أكثر من دلو من اللون الأحمر والبرتقالي والأزرق. أخيرًا جاءت لحظة العودة لبيته.. اكتشف وهو مصبوغ بالألوان كالببغاء إن معظم المواصلات معطلة. هناك طرق جديرة بالرحالة للعودة لبيته.. كأن تركب عربة إلى الوايلي ثم تركب عربة إلى السيدة زينب ثم تركب عربة إلى المرج.. أشياء من هذا القبيل..

لما صعد في أول عربة أدرك حجم المشكلة، عندما أحاط به الناس وراحوا يربتون على كتفه..رجل ناوله علبة مياه غازية.. وامرأة أخرجت إيشاربًا لتضمد به رأسه.. وهناك من ابتاع له قطنًا وشاشًا.. وراحوا يتساءلون في رعب:

-"قل لنا ماذا فعل بك هؤلاء الأوغاد يا صغيري!"

واحتضنته امرأة مسنة وقالت:

-"هؤلاء الكفار.. لقد ضربوك بوحشية!"

وقال شاب متحمس:

-"لا حل سوى الثورة لتأديب هؤلاء القتلة"

بينما راح رابع يرمقه في تفكير متسائلاً عن الإصابة التي تجعل لون الأنف أزرق، وما هو سائل الجسم ذو اللون البنفسجي..

بالطبع لم يستطع صاحبنا أن يفتح فمه.. لو قال إنه ملطخ بألوان مهرجان الألوان لضربوه علقة ساخنة، لذا راح يغمغم بأشياء مبهمة فهموا منها أنه مصدوم عصبيًا.. وفي النهاية استطاع أن يلحق بعربة ثانية.. هنا فوجئ بالركاب يهتفون تحية له باعتباره من أبطال الثورة..

وهكذا راح يركب وسيلة مواصلات تلو أخرى، ومن حسن حظه أنه لم يلق طبيبًا يكتشف أن هذه ألوان وليست دمًا، كما أن الضمادات التي وضعوها عليه جعلت انكشاف أمره أصعب...كانوا وقتها سيجدونه رقيعًا سخيفًا إلى حد لا يوصف.. ولا شك أنه كان سيتلقى علقة ممتازة..

ولعله عاد لبيته فاستحم سريعًا ثم هرع ليلحق بالمظاهرات!

من أصعب الأمور أن تجد أنك بطل وأنـت لم تـرد هـذا ولم تفعـل أي شيء يبرره.. عندما ينكشف الأمر يكون الثمن غاليًا جدًا..

سوف ترى



قالت لي سلوى في ثقة:

-"لا تقلق بتاتًا من حفل الزفاف.. سترى كيف أبدو.. سأكون بالضبط مثل الأميرات"

نظرت لشعرها المنكوش وانفها العملاق اللامع وأسنانها الصفراء.. لا أعيب على أي وجه طبعًا، فقط أنا لا أفهم المعجزة التي ستصير بها مثل الأميرات. من حق أي إنسان أن يكون قبيحًا، لكن ليس من حقه أن يؤكد أنه سيكون رائع الجمال..

على كل حال رأيتها في ذلك الزفاف، فاندهشت.. هي هي لم تتغير.. إذن على أي أساس كانت تتحدث؟.. ومن أين جاءت بهذا التفاؤل كله؟

إن ثقة بعض الناس بمجرى الأمور تثير دهشتي أحيانًا.. يعدونك ويعدونك حتى تحسب أن الأمر منته، وتحسب من العيب أن تسأل أكثر..

ثم يتبين أنهم لا يعرفون قدراتهم على الإطلاق..

تعلم الرئيس المصري جمال عبد الناصر هذا الدرس بالطريقة الصعبة عام 1967، حيث كلما سأل وزير الحربية عبد الحكيم عامر عن مدى استعداده لصد الهجمة الإسرائيلية القادمة، قال عامر وهو يشير لعنقه: رقبتي!!. وهي إيماءة معناها أنه يعد بحياته..

عندما تسلى الطيران الإسرائيلي على الجيش المصري كله في 5 يونية 1967 تأكد عبد الناصر أن عبد الحكيم عامر كان يقصد أن رقبته ستطير لو حدث هجوم إسرائيلي..

من ضمن نماذج هذه الثقة الزائدة ما قرأته عن فيلم الأخوين الأمريكيين كوين، وهما عبقريان اعتادا عمل ما يريدان.. كان اسم الفيلم القادم لهما (احرق بعد القراءة). قال الأخ إيثان كوين: ما هي العلاقة بين عميل مخابرات مركزية مخمور وسي دي وجمنيزيوم وفتاة تحب الملاكمة؟ هذا ما سوف تعرفه عندما تشاهد الفيلم!

رأيت الفيلم فعرفت كم هم عباقرة.. الفيلم يدور فعلاً عن عميل مخابرات مركزية مخمور و جمنيزيوم و سي دي و فتاة تحب الملاكمة.. لكن لا يوجد أي رابط تقريبًا..!.. لم يحلا المشكلة.

من أين جاءا بهذه الثقة إذن؟

أما ما قرأته عن فيلم (فان هلسنج) فهو أكثر طرافة.. يقول مؤلف السيناريو العبقري إنه واجه مشكلة أن يجمع بين دراكيولا وفرانكشتاين والرجل الذئب في قصة واحدة.. بالطبع سوف يشعر المشاهد بالتلفيق.. هكذا راح يفكر ويفكر.. قضى عدة اشهر يفكر.. ثم توصل للحل.. سوف يزور فان هلسنج قلعة دراكيولا في ترانسلفانيا.. هنا يكتشف أن هناك من يجري تجارب فرانكشتاين في القبو، وهنا يهاجم رجل ذئب الضاحية!.. فعلاً عبقري!.. لا يوجد أي افتعال! لقد حل المشكلة..

نفس الكلام الفارغ قرأته على لسان مخرج أمريكي قرر أن يعيد تقديم فيلم (سايكو) الخالد لهتشكوك.. لماذا تفعل هذا يا بني؟.. إن فيلم هتشكوك قد استكمل عوامل النجاح والكل يحبه فلماذا تعيد اختراع المجلة؟.. لكن المخرج المتحمس كتب يقول إن هتشكوك لم يفهم المعدن الأصيل للرعب.. هذا المعدن هو ما سيحاول اقتناصه في تقديمه لفيلم سايكو.

ربما تكون قد رأيت الفيلم.. لم يقدم الرجل أي شيء جديد سوى أنه أعاد فيلم هتشكوك لقطة بلقطة.. حتى زوايا الكاميرا قلدها.. حتى الموسيقا أعاد استخدامها.. حتى الإضاءة!

إذن ما هو ذلك الشيطان الذي سيطر عليه وهو يدلي بتلك التصريحات الواثقة؟

(سوف ترى)... العبارة الشهيرة التي تثير جنوني، خصوصًا عندما يأتي الوقت فأكتشف أني لم أر أي شيء.. أتمنى لو يفهم الإنسان قدراته أكثر. من السهل فعلاً أن أؤكد لك أنك سترى المعجزات لو أنني لعبت غدًا مع الفريق القومي. والأدهى أن أصدق نفسي فلا أكذب.. لكن ماذا عن لحظة الحقيقة؟..

المتأخرون



بالنسبة لشخص عصابي مثلي، شديد التوتر ويمكن أن يلتهم نفسه حتى الأذنين، فإن معرفة واحد من هؤلاء القوم تجربة قاتلة..

من هم هؤلاء القوم؟..

إنهم المتأخرون.. الأشخاص الذين لا يبالون بالوقت ولا التأخر عن المواعيد، ويملكون درجة شنيعة فاضحة من السلام الداخلي. هناك قصة للأديب البريطاني (روآلد دال) عن سيدة كانت تعيش في هلع دائم من أن تفوتها طائرة أو قطار، وكان زوجها يعرف هذا لذا كان يتسلى بأن يعذبها ويجعلها تنتظر حتى اللحظة الأخيرة.. وعندما قتلته الزوجة في نهاية القصة فإنني كنت على استعداد تام لفهم دوافعها..

عندما يدخل أحد هؤلاء الحمام، فلابد من ساعات تمضي عليه هناك.. تتساءل أنت في حيرة عما يفعله بالضبط.. ثم يظهر لك بعد ما يشيب شعرك ويتساءل عن سبب قلقك..

عندما يتطلب الأمر أن تتحرك في السابعة صباحًا مثلاً، تكون أنت المجنون الوحيد الذي يلبي الموعد. في الثامنة ينزل أحد هؤلاء القوم في تؤدة ليعلن أنه سيتناول طعام الإفطار أولاً.. معنى هذا أنه سيصير جاهزًا في التاسعة، ويندهش جدًا لأنك قلق متوتر..

ذات مرة توقفت الحافلة السياحية في بلدة.. وأعلن السائق في حسم أن بوسعنا التسوق بعض الوقت، لكنه لن ينتظر مخلوقًا بعد الساعة الثالثة. رأيت تلك الفتاة تترجل من الحافلة وتعلن في كبرياء أنها ستأخذ راحتها في التسوق، وهي تعرف أن السائق لن يجرؤ على الانطلاق بالحافلة من دونها..هذا ما حدث حرفيًا.. صارت الساعة الخامسة وهي لم تظهر بعد. كانت هناك تقوم بجولة وتفاصل الباعة بأعصاب من حديد غير مبالية بالموعد الذي ضربه السائق.. النتيجة أن من احترقت أعصابه والتهم أصابعه هو السائق نفسه..

قلت له إن عليه أن ينفذ تهديده حرفيًا، فقال لي في خجل إنه لا يجرؤ على ترك فتاة وحيدة في هذه البلدة السياحية.. والنتيجة أن الفتاة عادت في السادسة لتتساءل عن سبب توترنا إلى هذا الحد..

المتأخرون عن الطائرة فئة أعتى وأفظع. أذكر أن مجموعة من هؤلاء طلبوا مني أن اجلس جوار حقائبهم إلى أن يبتاعوا شيئًا من السوق الحرة في

المطار، وجلست أنظر لعقارب الساعة في هلع.. بقيت عشر دقائق على موعد الطائرة.. سبع دقائق.. حتى لو عادوا الآن فلن يكفي الوقت لبلوغ بوابة الطائرة... ثلاث دقائق.. لابد أنهم يمزحون.. هل أترك متاعهم وأرحل؟..

وفي النهاية يظهرون لك وهم شديدو المرح ولا يبدو عليهم أي نوع من القلق..

تقول لهم والجنون يتملكك:

ـ"الطائرة.. الموعد.. دقائق!"

فيكتشفون أنك مجنون هستيري.. الموقف لا يستدعي كل هذا الذعر. وبنفس الخطوات البطيئة الواثقة يتقدمون إلى البوابة.... هم دائمًا يربحون برغم أنه من العدالة الشعرية أن تفوتهم الطائرة.. يجب أن تفوتهم الطائرة لو كان هناك عدل في هذا العالم القاسي..

كل شيء مع هؤلاء القوم يستغرق وقتًا أطول من اللازم.. يأكلون في ساعات ويصحون في دهور.. يدخلون الحمام في قرون ويستيقظون في سنين.. أردت دومًا أن أجري تجربة مثيرة تشبه ما قام به جاليليو فوق برج بيزا.. سألقي بواحد من هؤلاء من الطابق الثالث.. أنا متأكد أنه سيستغرق نصف ساعة في السقوط لأن أجسادهم تختلف فيزيائيًا عن أجسادنا..

المتأخرون كائنات فريدة من نوعها، لكنني أحسدهم بشدة على هدوء أعصابهم، ولا أعتقد أن أحدهم يمكن أن يعاني يومًا من مرض القلب أو ارتفاع ضغط الدم. المشكلة الوحيدة هي أنهم بالتأكيد يموتون ببطء ولا يعرفون الميتات السريعة!

في جحيم المول



في الماضي لم تكن ثقافة المول معروفة في العالم العربي. كانت هناك شركات القطاع العام التي تتكون من عدة طوابق.. طابق للمفروشات وطابق لأدوات المطبخ وطابق للغيارات. الخ.. وكنت تنتقي ما تريد ثم تصيح البائعة تلك الصيحة الشهيرة: "كييييييس!" بحزم. فيأتي من يحمل مشترواتك لقسم التسليم بينما تتجه أنت للخزانة لدفع الثمن.. وينتهي كل شيء..

لا أعرف متى ولا كيف بدأ ذلك الكابوس المسمى (المول). فجأة صارت الحياة شديدة التعقيد حتى أنني لن أندهش لو انتحر بعض مرهفي الحس الذين لا يتحملون هذا كله.

المول عالم معقد عملاق.. يتكون من 176898 طابقًا ويعمل فيه أفراد يقترب عددهم من الجيش الروسي، وفيه عدد من التوكيلات التجارية التي لم تسمع باسمها قط. فيما بعد عرفت أنني أحمق لأنني لم أسمع عن قمصان (تيكاتيكا) وحقائب (بيكو بيكو) وأحذية (هولاكو)..

عرفت من اللحظة الأولى أنني أكره تلك الأماكن ولا أتحملها، ومنها تعلمت معنى (أجورافوبيا).. أي الخوف من الأماكن المفتوحة الواسعة التي تشعر فيها أنك ضائع، وفي الوقت نفسه هناك قدر لا بأس به من (الكلوستروفوبيا) أي خوف الأماكن المغلقة (والسبب أنك تريد رؤية السماء فلا تقدر!). على قدر علمي هذا أول مكان عبقري يتيح للناس نوعين متناقضين من الاضطرابات النفسية..

من اللحظة الأولى هناك رياضة مثيرة خطيرة جدًا هي اقتناص مكان لسيارة، لقد رأيتها في الدول الخليجية بالذات، اقسم بالله أنني رأيت ست سيارات تقف متحفزة ومحركاتها تهدر وهياكلها ترتجف، بينما تتأهب سيارة صغيرة لمغادرة ساحة الانتظار. سيارة محظوظة من الست سيارات

سوف تنقض كسمكة القرش لتحتل هذا المكان والويل للباقين.. رياضة خطرة جدًا وليست للهواة كما قلت لك..

سلالم متحركة لأعلى.. لكم أكرهها!.... على السلالم يقف المتسوقون وفي عيونهم جشع ونهم لا ينتهي للذات الحياة، وفي يد كل واحد منهم ذلك الكوب اللعين المغطى بقبة بلاستيكية تخرج منها شفاطة. هذا الكوب هو رمز الانتماء لعقيدة المولات.. لقد خدروك.. تصعد وأنت تنظر في توجس لوجوه النازلين على السلم المقابل الذين ينظرون لك بكراهية. هناك في فيلم (طريق كارليتو) مشهد قريب من هذا يتبادل فيه لصوص المافيا الطلقات من سلمين متعاكسين..

في كل يد كيس عملاق فاخر الشكل يحمل ماركة عالمية مثل (زوربا اليوناني) أو (أتيلا ملك الهون).. وأنت تشعر بخجل لأنك لا تحمل كيسًا مماثلاً بعد.. لكنك سوف تصحح الخطأ فيما بعد بالتأكيد..

يصل السلم لوجهته بعد ما كدت تكسر ساقك مرتين، والآن تجد نفسك وسط غابة حقيقية من الماركات العالمية والأضواء، والفتاة التي تقف خلف ستاند وتحاول إقناعك بتجربة عطر جديد.. ورجل الأمن الذي يرمقك في شك.. تحاول إشعال لفافة تبغ، هنا تعرف لماذا يرمقك في شك.. التدخين ممنوع هنا.. أو تتذكر فجأة أنك لا تدخن...

الويل لك لو أردت قضاء حاجة.. سوف تبحث وتبحث.. رواد المول لا يملكون جهازًا هضميًا أو بوليًا كما هو واضح. هناك لافتات تمثل رجلاً يهرب مذعورًا من مخرج طوارئ، وهذا يعني أنهم تذكروا هروبك لو حدث حريق، لكنك لا تجد ضالتك أبدًا.. بعد جهد جهيد ترى اللافتة الرائعة التي عليها صورة شوكة وسكين ورجل وامرأة.. معنى هذا أن هناك حمامًا قريبًا..

تهرع باتجاه اللافتة فتكتشف أنك في مرآب سيارات رطب مخيف جدير بأفلام الرعب. تحاول عبثًا أن تتذكر الباب الذي دخلت منه، وتمر بسلسلة مثيرة من البحث وركوب مصاعد تحملك لطوابق عجيبة مثل (2-) و(3-)... مستحيل أن تجد الباب الذي دخلت منه أبدًا.. لماذا يضعون صورة شوكة وسكين هنا؟.. هل هو إنذار من أنهم سيلتهمون من يدخل هذا المكان الرهيب؟

في النهاية أنت في مكان لا تعرفه، لكن التوكيلات تحاصرك كالعادة.. ويقول لك رجل أمن طيب أنك في الجزء (ب) من البناية.. هل هناك جزء (ب)؟.. نعم.. وهو جزء منفصل لا علاقة له بالأول.

تقف على السلم الكهربائي النازل، فيهبط بك للطابق الذي تحته.. هنا تكتشف أنه لا يوجد سلم آخر جوار هذا مباشرة.. تدور وتمشي وتفتش

عن سلم آخر نازل فلا تجد.. كيف ينزلون للطابق السفلي إذن؟... تكتشف في النهاية أن السلم النازل يوجد على بعد مئة متر تقريبًا.. تضع قدمك عليه ثم تنزعها في آخر لحظة عندما تتذكر أن هذا سلم صاعد وليس نازلاً وأنك كدت تهشم قدمك.. أريد الخروج.. حرام عليكم.. أريد رؤية السماء ورؤية وجوه صديقة..

الناس لا يكفون عن الشراء في جشع كأنهم الجراد، ثم ينهكون فيجلسون في الكافتيريات المتناثرة وسط عشرات الأكياس التي تحمل أسماء توكيلات عالية، ليلتهموا البيتزا وكعكة الجبن ويشربون الكابوتشينو، شاعرين بشجن ورضا عن النفس. ثم يحملون كوب العصير اللعين ذا القبة والشفاط ويواصلون التسوق..

نفس هذه الأشياء التي يشترونها تباع بعشر ثمنها في كل مكان، لكنهم يدفعون أي ثمن باهظ من أجل قطعة قماش صغيرة على الجيب تحمل اسم ماركة عالية مثل (موسوليني) أو (آل كابوني). هذا يعني أنهم متأنقون وأنهم لا يلبسون إلا ماركات عالمية.. آل كابوني كما تعرف أفضل من يصمم السترات..

المضحك هنا هو أنهم بعد هذا السخاء في الإنفاق يهرعون في المطارات – لو كانوا من السياح – ليحصلوا على فارق الضريبة الحرة، وهو بضعة

دولارات، لكنهم لا يتركونها حتى لو جازفوا بأن يضيعوا الطائرة.. السؤال هنا هو: ما دمتم تتفاخرون بكل هذا البذخ فلماذا لا تتركون هذه الدولارات إذن؟ لماذا أشتري سلعة بألف دولار بينما بوسعي شراء مثلها بمئة دولار، ثم أملأ الدنيا صراخًا من أجل خمسة دولارات أستعيدها في المطار؟

لا وقت لهذه الأفكار على كل حال لأن الخروج من هذا الكابوس صار ملحًا، وأنت لا تجد طريقك.. وكل النصائح لا تجدي.. تريد رؤية الشارع والشمس بأي شكل.. منذ نصف ساعة تمشي ولا تستطيع أن تتوقف..

أعتقد أن معظم البائعين في هذه المحلات هم أشخاص مثلك لم يستطيعوا العثور على باب الخروج من المول، وقرروا أن يستقروا حيث هم للأبد.. وهذا يجعلني قلقًا بصدد قراءتك لهذا المقال.. ترى هل ستقرؤه حقًا؟

لست مجنونًا



من المواقف الشهيرة في الأفلام الكوميدية، أن يُتهم البطل بالجنون، أو يشكون في أمره ويدخلونه مستشفى المجانين.. عندها يحاول إثبات أن عقله سليم، غير أن هذا بالضبط هو التصرف الذي يجعله يبدو أكثر جنونًا. إنه يقول كلامًا مختلطًا عن (مصطفى الذي جاء به هنا)، وعن (محاسن التي تنتظره في الخارج)، هنا يهز الطبيب النفسي رأسه في فهم ويغمغم: "طبعًا.. طبعًا.. مصطفى.. نعم. محاسن.. بالفعل.. هي تنتظرك.."

الجريمة التي أثارت دهشة مصر منذ أعوام، والتي تبعث على الابتسام برغم كل شيء، هي جريمة سائق سيارة إسعاف كلف بنقل بعض المجانين إلى مستشفى العباسية. أثناء الطريق شعر السائق بالحاجة إلى شرب كوب من الشاي وتدخين النارجيلة (الشيشة) هكذا توقف في مقهى ونزل ليعدل دماغه.

عندما عاد للسيارة لم يجد مجنونًا واحدًا، وهذا يعني أن المجانين يجيدون فتح أبواب السيارات برغم كل شيء. لم يعرف ما يفعل ولا كيف يسدد الدفاتر في مستشفى العباسية. هنا خطرت له فكرة عبقرية هي أن توجه

إلى أحد المواقف وراح ينادي على الركاب:

ـ"واحد العباسية.. واحد العباسية!"

كانت ساعة زحام والمواصلات شحيحة، هكذا جاء ركاب وركبوا في السيارة. وقد افترضوا أنه سائق سيارة إسعاف يحاول التحايل على الحكومة للظفر ببعض المال. انطلق السائق إلى مستشفى الأمراض العقلية فأفرغ حمولته وحصل على إيصال التسليم. وما يثبت أنه سلم حمولته الثمينة للمستشفى ثم فر..

طبعًا ما حدث بعد هذا جدير بأن يكتب في الأدب العالمي.. الركاب بينهم المعلمة والموظف والمحاسب والتاجر يؤكدون للممرضين والأطباء أنهم عقلاء، وأن خدعة قاسية جاءت بهم هنا.. لكن محاولتهم هذه هي بالضبط استعراض للجنون على أعلى طراز.. "كنا نعتقد أنها سيارة نقل عام".. "طبعًا.. طبعًا.. سيارة نقل عام تبدو كسيارة إسعاف.. جميل جدًا"

استغرق الأمر أسبوعًا حتى عرف الجميع الحقيقة، وقد تم تقديم فيلم سينمائي كوميدي عن هذه القصة..

كما قلت لك: أصعب شيء في العالم أن تثبت أنك عاقل عندما يفترض الآخرون أنك مجنون، والنصيحة الوحيدة لك هي ألا تركب سيارة إسعاف يتظاهر صاحبها بأنها سيارة نقل عام.

دقة شديدة



الناس من حولنا يتمتعون بدقة شديدة وقوة ملاحظة لا شك فيها.

يومًا بعد يوم أدرك أنني الوحيد الذي لا يلاحظ شيئًا على الإطلاق.

اعتدت عندما أدخل المسجد للصلاة، أن انزع ذلك الشبشب الأزرق على المدخل، ويلحق بي جاري لينزع الشبشب الأزرق الخاص به. النتيجة

بعد الصلاة هي أن أحدنا – طبعًا – لا يلبس الشبشب الذي جاء بـه أبدًا.. وقد كففت منذ زمن عن التساؤل عن شكل شبشبي الأصلي.. إنه واحد من الاثنين. هذا يذكرني بالخيول في الغرب الأمريكي حيث كان الكل يسرق من الكل.. هكذا لا يهم أين حصانك الأصلي ما دام لديك حصان تركبه..

زميلتنا في العمل – باعتبارها امرأة قوية الملاحظة – أبدت دهشتها التامة، لأن شبشبي وشبشب صديقي مختلفان تمام الاختلاف.. في رأيها أن من يخلط بين هذين الشبشبين كفيف أو مجنون. قلت لها إن التشابه شديد والدليل أن صديقي يخطئ دائمًا.. لا يمكنها أن تتكلم عنهما كأن أحدهما أزرق والآخر أحمر مثلاً، أو أن أحدهما شبشب والآخر حذاء، لكنها كانت مصرة على أن الفارق واضح.. قررت أن أنصب لها امتحانًا ووضعت الشبشبين أمامها وطلبت أن تخبرني بصاحب كل منهما. بالطبع لم تستطع.. على أنها قالت إن السبب هو أننا خلطنا الشبشبين كثيرًا حتى لم تعد تعرف من كان يلبس ماذا.

نفس الدقة المرعبة وجدتها لدى صديق لي من المدخنين ثقيلي الوطه. كان يصر على نوع معين من السجائر لأنها تريح صدره، وكان يبذل جهدًا عنيفًا في العثور عليها ثم يدفع ثمنًا باهظًا من أجلها، بينما كان رأيي

بسيطًا: التبغ هو التبغ.. انتحار بطيء.. فلا فارق بين سم وآخر ما دامت النهاية هي القبر في جميع الظروف. فكان يقول لي:

-"هذا لأنك لست نواقة.. كل شيء يتساوى عندك"

قمت باختبار بسيط وابتعت علبة من أردأ وأرخص أنواع التبغ في السوق، لكن سجائرها تشبه النوع الذي يدخنه. وأحضرت علبة فارغة من الطراز الذي يفضله وملأتها بالسجائر الكريهة الرخيصة. وضعتها أمامه فمد يده لا شعوريًا وأشعل سيجارة..

قلت له:

-"هل تفضل أن تجرب سيجارة من سجائري؟"

نفث الدخان في استمتاع وقال:

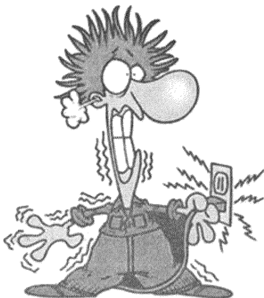
-"كل الأشياء تتساوى عندك يا صغيري.. أنت غير نواقة وعديم الملاحظة تمامًا.. هل تتوقع أن أدخن لفافات سمّك هذه؟"

انتظرت حتى أنهى العلبة بالكامل وأعلن أنها ممتازة، قبل أن اخبره أنه لا يفقه شيئًا في أنواع التبغ.. لم يصدق.. حتى هذه اللحظة لم يصدق برغم أنني عرضت عليه الكلمات المكتوبة بخط دقيق على فلتر السجائر التي دخنها. قال إن السبب هو أن الشركة الرديئة حسنت إنتاجها

بشكل غير مسبوق مؤخرًا..

حسن.. أنا مقتنع بأنني معدوم الملاحظة ولا أتمتع بالدقة، لكن هل يمكن تغيير هذا الوضع المؤسف بعد كل هذه الأعوام؟

نحس



عنـــدما تقـــرأ هـــذه الكلمات سوف يكون ذلك القمر الصناعي التالف قد هبط على كوكـب الأرض فعـلاً، في تمـام الثامنة بتوقيت جرينتش مساء يـوم الجمعـة 23 سـبتمبر. الطريـــف هـــو أن العلمـــاء لم يحددوا بعد مكان سقوطه..ربما يسقط فوق رأس ذلك اللورد البريطاني الذي يصطاد الثعالب، أو فـوق رأس ذلـك الهندي الذي يجمع أوراق الشاي في الحقـل، أو فـوق راعـي البقـر الأمريكـي في أحراش ويومنج، أو ربما يسقط فوق رأسي أنا!!

هناك متفائلون يؤمنون بضعف هذا الاحتمال جدًا، مثل ذلك العامـل الفقير الذي كان يعيش في قلب القاهرة أيام الحرب العالمية الثانيـة، وكانـت طائرات هتلر تقصف القاهرة بلا توقف.. قالوا للعامل: ألا تخاف الموت؟..

فقال لهم: بالعكس.. أنـا مطمـئن تمامًـا.. علـى الطـائرة أن تحلـق كـل هـذه المسافة من الساحل الشمالي حتى قلب القاهرة، وعليها أن تلقي القنبلة على البيت رقم 5 حارة المغربلين بالـذات، وبعـد هـذا الجهـد كلـه قـد لا أكـون موجودًا في البيت!!

هذا بالنسبة للمتفائلين، أما بالنسبة للمتشائمين أمثالي، فأنـا أؤمـن إنه ذلك المشهد الخالد في أفلام توم وجيري. هناك صخرة عملاقة تهـوي مـن الفضاء قذفها الفأر غالبًا.. يراها القط فيركض مـذعورًا ذات الـيمين واليـسار ثم يدرك الحقيقة: الـصخرة سـوف تـصيبه أينمـا ذهـب.. هـذا فـيلم رسـوم متحركة يستحيل معه أن تسقط الصخرة بعيدًا عنه. هكذا يحفر لنفسه قـبرًا بسرعة وتستطيل لحيته في ثانية، ثم يقف يدخن سيجارًا وينتظر النهاية.. وعلى الفور تهوي الصخرة فوق رأسـه هو..

نفس الشيء يحدث هنا تقريبًا.. سوف يفر المرء يمينًا ويسارًا.. لكن القمر التالف سوف يهوي فوق رأسه هو..

هناك قـصص عجيبـة فـضلاً عـن أشـخاص بلـغ بهـم الـنحس درجـة عبقرية؛ مثل ذلك الرجل البرازيلي الذي جلس في حديقة داره منذ عـشرين عامًا يشرب العصير.. هنا سقط نيزك من الفضاء الخـارجي.. نيـزك بحجـم الليمونة سقط على رأسـه فقتله!.. الحادث حقيقي وذكر في الـصحف وقتهـا.

لو تأملت هذا الحادث لوجدت درجة عبقرية من النحس.. نيزك من الفضاء الخارجي اختاره هو من بين كل سكان الأرض.. هذا يشعرك بأنك محظوظ جدًا...

هناك قصص أقل خطرًا؛ مثل المتفرج الذي كان ينظف أذنه بعود ثقاب في مباراة بيزبول أمريكية، فطارت الكرة من اللعب إلى المدرجات لتضرب يده ويثقب طبلة أذنه!...

العكس صحيح كذلك.. هناك أناس محظوظون لدرجة لا تصدق، ومنهم جنود الحلفاء الذين كانوا يتناولون الطعام فسقطت قنبلة وسطهم وانفجرت.. لم يصب أحد بأذى... وكان تفسيرهم الوحيد هو أن أجلهم لم يحن بعد..

هناك الطيار النازي الذي وجد ذبابة تطير معه في القمرة فأمسكها بأنامله ليكتشف أنها رصاصة!.. الفكرة هي أن الرصاصة دخلت القمرة وكانت سرعتها قد قلت، لذا صارت تطير بنفس سرعة الطائرة وصارت معلقة في الهواء!

وهناك السيارة التي سقطت من فوق جسر على ظهر قطار متحرك.. الصدمة جعلت القطار يقذفها للجسر من جديد...!

كل هذه قصص حقيقية وليست من تأليفي.. هكذا ترى أن الحظ قد يكون عبقريًا، وكذلك النحس.. أما عن مكانك في هذين النقيضين فيكمن في أن ننتظر حتى الثامنة مساء بتوقيت جرينتش ونرى ما سيحدث.. أما أنا فإن لم تر مقالي هنا في الأسبوع القادم، فإن بوسعك أن تخمن ما حدث بالتقريب!

كلمتان!



اســـــتفزني
موقــف هــذا الزميــل
ومــا قالــه في حقــي،
فرحت أطلق الدخان
الأسود من أذنــي كما
يفعلـــون في الرســـوم
المتحركـــة، ورحـــت
أبتلع غيظي.. أعترف
أنني تصرفت بتحضر بالغ فلم أتهمه بأنه وغد سوى ثلاث مرات، واتهمتـه بأنه خنزير مرتين، واتهمته بأنه أسود القلوب طرًا وأنه من أسفل من مـشوا على ظهر البسيطة.. فعلت هذا ثلاث مرات فقط..

في النهاية أقنعوني بـأن هذه القطيعة حرام وأن علـي أن أتـصل بــه، فوعدتهم بأن أفعل.. فقط سوف أشـتمه قليـلاً علـى الهـاتف وبعـدها سـوف أستعيد هدوئي.

اتصلت به على الهاتف المحمول، فوجدته مغلقًا... بعد ساعة جربت الاتصال به فسمعت أغنية شبابية مرحة مع عرض بأن تكون هذه النغمة الخاصة بي. بعد عشر محاولات دق الهاتف.. لكن أحدًا لم يرد.. فعرفت أن الهاتف ليس معه..

كنت أعرف جيدًا ما سوف أقوله له وكتبته في ورقة:

1- أنت تتهمني بصفات ليست في.

2- أنت تنقل أسراري لأطراف أخرى.

3- كنت تأكل شطيرة من الكفتة ولم تعرض علي أن أتذوق قضمة منها.

أعرف ما سأقول وكيف أقوله.. بل إنني أوشك على سماع نفسي وأنا أهز رأسي في أسى: كفتة؟.. قطعة كفتة تضن بها علي أنا صديقك؟.. ثم أبكي..

نمت على هذا الحوار، فلما صحوت في الصباح وجدت أنه اتصل بي ست مرات.. كيف لم أسمع الجرس؟

طلبته فراح الجرس يدق بلا جدوى.. إنه غير موجود.. سوف أجرب أن أطلبه عند الظهر..

لكني نسيت أن أطلبه ظهرًا.. نمت عصرًا ثم صحوت لأجد أنه طلبني ولم أكن مستيقظًا...

هكذا دارت الأيام وهكذا تحول الأمر إلى محاولات مستمرة من أحدنا للقبض على الآخر، لكن هيهات.. مستحيل أن تجده.. كلانا لا يستعمل الهاتف الجوال إلا كأنه هاتف أرضي. لدرجة أنني فكرت جديًا في كتابة فاكس ألومه فيه وأرسله لمكتبه لكن بدا لي هذا نوعًا من المبالغة..

اليوم بعد أسبوعين أحاول تذكر لماذا كنت أريد صديقي.. لا أذكر..

اتصل بي فاقتنصت السماعة وأنا أرتجف..قال لي:

-"كيف حالك أيها العزيز؟.. هل كنت تريدني؟"

قلت في لطف مرتبك:

-"بصراحة لا أذكر السبب.. هناك كفتة في الموضوع لكن لا أذكر التفاصيل. لا عليك.. المهم انني سمعت صوتك.."

-"أنت صديق عزيز.."

-"وأنت كذلك.. أدام الله المحبة"

ووضعت السماعة شاعرًا بأن هناك شيئًا ناقصًا.. غريزة العدوانية عندي تهيأت للافتراس ثم خاب أملها. بالطبع يستحيل أن أتذكر اسباب

الخلاف.. ولم أجد الورقة التي تشرح ما سأقول..

فيما بعد قرأت عن الخط الساخن الذي كانوا يريدون عمله بين الرئيس الأمريكي والسوفييتي أيام الحرب الباردة. عندما يقرر الرئيس السوفييتي أن يشن الحرب النووية يتصل بنظيره الأمريكي.. بالطبع لا يجده لأنه يلعب الجولف. يتصل الأمريكي بنظيره السوفييتي في الصباح ليعرف لماذا طلبه، فيجد أنه في مسرح البولشوي يشاهد باليه بحيرة البجع.. تمر أيام وكلا الرئيسين يحاول الظفر بالآخر، وفي النهاية يلتقيان فيحاول الرئيس السوفييتي تذكر سبب اتصاله.. لا يذكر.. يتمنى للرئيس الأمريكي ليلة طيبة، ثم يذهب للحانة ليتناول الفودكا..

إن الهاتف الجوال وسيلة ممتازة لتوطيد العلاقات البشرية.. بشرط ألا يكون أحد الطرفين موجودًا!

بعض الدقة



هناك حالة عامة من عدم الدقة تغمر المجتمع، وهي – بالتأكيد – جزء من ثقافتنا، إلى درجة أن أي دعوة للدقة أو ضبط المصطلحات تُلاقى بسخرية أو ازدراء أو شك.. لابد أن من يطالب بهذا متحذلق أو مصاب بوسواس قهري أو مجنون. أعترف هنا أنني أتوتر جدًا بصدد عدم الدقة إلى درجة ترشحني بجدارة لأن أكون مريضًا بالعصاب.

هناك مثلاً الطامة الكبرى: الإجابات غير ذات المعنى. أسأل صديقي في العمل إن كان سيتغيب يوم الثلاثاء أم الأربعاء فيجيب: نعم!

أسأل زميلة العمل إن كانت تفضل اللون الأحمر أم الأزرق فتقول في ثقة: بالتأكيد!

هنا يجن جنوني وأقول في صبر إنني أخيرها بين (أ) و(ب) فلا يمكن أن تكون الإجابة (نعم). قالت لي زميلة العمل إن الإجابة تندفع إلى لسانها قبل أن أكمل سؤالي، لهذا فإن (نعم) هذه معناها (الأحمر).. الخيار الأول.. هذا أمر واضح لكل طفل ومن الغريب أنك لم تفهم هذا!.

ليكن.. أنا عجول ضيق الخلق لهذا لم أفهم هذه القاعدة البسيطة. نأتي للخطأ الثاني: صديقي يقول لي في ثقة إنه سيقابلني يوم الأربعاء بعد صلاة العشاء!. أقول له في صبر إن هذا يجعل وقت لقائنا أي وقت بين صلاة العشاء وصلاة الفجر!. ينظر لي في عدم فهم ويقول:

-"يا أخي بعد صلاة العشاء.. معنى هذا أنه بعدها مباشرة."

-"وما معنى مباشرة بالنسبة لك؟ هل هو ساعة؟.. ساعتان؟"

ينظر لي كأنني مجنون ويغير الموضوع. بينما لو قال لي (بعد صلاة العشاء بنصف ساعة) أو (الثامنة مساء) لأراح واستراح..

كل هذا محتمل لكن دع زوجتي تشرح لي طريقة إعداد الأرز، لأنها لن تجد وقتًا كافيًا لإعداد الغداء اليوم. هنا يبرز سؤال كوني جدير بفلاسفة الإغريق: ما مقدار الماء الذي نضعه على الأرز؟.. تقول زوجتي: "غط الأرز بالماء..!"

هنا أشرح لها في صبر أن تغطية الأرز بقطرات ماء أو تغطيته بكوبين من الماء أو وضعه في قاع المحيط، كل هذا يندرج تحت قائمة (تغطية الأرز بالماء). أريد الدقة.. هل يكون مستوى الماء على ارتفاع نصف سنتيمتر عن سطح الأرز أم سنتيمتر كامل؟.. تنظر لي كأنني مجنون ثم تقول في صبر:

-" غط الأرز بالماء..! "

وأنت تعرف كما أعرف أن الأرز كائن شيطاني مراوغ يحب أن يتحول إلى عجين، وينتهز أي فرصة ممكنة لذلك. النتيجة أنك تحصل على أرز نيئ يهشم أسنانك أو تظفر به قطعة واحدة صمغية مقززة.. لكن أعتقد من هذا هو السؤال المصيري: ما مقدار الملح الذي نضعه على الأرز؟

تقول زوجتي في ثقة:

-"ضع قليلاً من الملح!"

هنا أسألها في حذر:

- كم يبلغ القليل من الملح؟.. ذرتين؟.. ملعقة صغيرة؟.. ملعقة كبيرة؟.. قبضة؟.. هل أسكب عليه ست عبوات من البقال؟..

هنا تقول زوجتي وهي تتأهب للانصراف:

ـ"القليل من الملح.. تذكر!... "

ليكن.. كل هذا محتمل ومفهوم. لكن خذ عندك اجتماع مجلس الإدارة عندما أطرح اقتراحًا وأدعو للتصويت عليه.. زميلي جالس جواري وأعرف أنه سيؤيد اقتراحي بالتأكيد. يرفع المعترضون أيديهم فيكون عددهم نصف الجالسين. يرفع المؤيدون أيديهم هنا أفاجأ بأن زميلي لم يرفع يده.. وهكذا يُرفض اقتراحي..

أسأله في غيظ لماذا لم يرفع يده؟.. فيقول في هدوء:

ـ"أنا مع الأغلبية!"

وما هي الأغلبية؟.. وكيف تتشكل إن لم تصنعها أنت؟.. وما هي فكرتك عن الأغلبية إذن؟.. صديقي هذا ممن يرون أن (نعم) إجابة مناسبة للسؤال (ا) أم (ب).. ولابد أنه ممن يقابلون أصدقاءهم بعد صلاة العشاء، ولابد أنه يغطي الأرز بالماء ويضع عليه القليل من الملح..

هل أنا مجنون والحياة أسهل من هذا، أم أننا شعب يفتقر إلى الدقة بدرجة لا توصف ؟.. أتوقع أن تساعدني في الإجابة، لكن أرجو ألا تجيب عن هذا السؤال بـ (نعم)!

السر في بير



يقـــول لـــي الأسـتاذ زكريا:

ـــ" هنـــاك خلافـات بـيني وبـين زوجـــتي.. خلافــات خاصـة.. أنـت تعـرف أن هنـاك أمـورًا تقـع بين الزوجين ولا يصح أن يعرفها أحد.. لا تطالبني بالشرح أرجـوك ولا تحـاول جعـل لـساني ينزلـق بالكلام"

طبعًا أنا غير مهتم البتة بالأمور التي تقع بينه وبين زوجته، ولا أملك أية درجة من الفضول، لهذا أقول في حرارة وصدق إنني لا أريد أن أعرف..

بعد قليل يقول لي:

ـ"في الحقيقة أنا متردد.. كل ذرة في كياني تطالبني بأن أصمت، لكنـك أخ فاضل ولا أعرف كيف أخفي عنك شيئًا كهذا.."

-"صدقني أنا لا أريد الضغط عليك"

طبعًا لا أجرؤ على القول إنني غير مهتم بأسراره بتاتًا فهذه وقاحة أو نوع من الإهانة، لذا أصمت إلى أن تأتي اللحظة الرهيبة ويخبرني بالسر:

-"كانت هناك قطعة من التورتة في الثلاجة، وقد اتفقت مع زوجتي على أن نقتسمها. تسللت ليلاً لآكلها وحدي فاتضح لي أن زوجتي سبقت وأكلتها!.. تصور!.. السيدة المهذبة بنت الأصول القادمة من أسرة ثرية تسرق. وتسرق من؟.. زوجها!"

فما أن أسمع هذا السر المريع حتى أهز رأسي. هنا أفاجأ به ينظر لي في توحش:

-"اسمع!.. ما كان يجب أن أقول هذا الكلام لكنني لم أستطع الكتمان.. أقسم بالله لو عرفت أنك أخبرت مخلوقًا لكان لي تصرف سيئ معك"

هكذا أجد نفسي محملاً برغمي بسر لا يهمني في شيء، والمصيبة أن يتسرب. أتذكر قصة الحلاق الذي كان يحلق لأحد الأثرياء. ويعرف وحده أن للثري أذني حمار. ظل السر في صدره لفترة طويلة حتى أوشك على الانفجار. هكذا حفر حفرة في الأرض وراح يصرخ فيها: الثري له أذنا حمار!!! في اليوم التالي خرج من الحفرة نبات له مائة فرع، ومن كل فرع خرجت مائة زهرة تصرخ: الثري له أذنا حمار!

لكني بالفعل غير راغب في إذاعة السر ولم أكن راغبًا في معرفته، وأعتقد أنني نسيت هذا الكلام الفارغ بعد ربع ساعة. لكن صاحبنا لا ينسى.. يقابلني في الشارع فينظر لي في شك، ثم يقول:

-"كما اتفقنا.. هه؟.. لا أحد يعرف.. هذه أمور خاصة جدًا"

لا أذكر عما يتكلم فأهز رأسي في ذكاء.

لكن الحياة ليست بهذه البساطة، إذ سرعان ما يأتي لي ليقول في غضب:

-"لقد ائتمنتك على سر عزيز من أسراري، لكن للأسف وضعت ثقتي بالشخص الخطأ.. أمس قابلت سيد الشماشرجي وهل تتصور ما وجدته؟.. إنه يعرف كل شيء.. التورته وزوجتي و...كل شيء!.. معنى هذا أن شخصًا غير جدير بالثقة تكلم!"

أؤكد له وقد احمرت أذناي أنني لم ألق سيد الشماشرجي منذ عامين. ولو حدث لما أخبرته بشيء.. دعك من أنني غير مهتم بالقصة أصلاً..

لكنه ينصرف وهو يرغي ويزبد، وينعي ضياع المروءة والشهامة..

في اليوم التالي أقابل بعض الأصدقاء في العمل فيقول أحدهم:

-"هل سمعت قصة الأستاذ زكريا؟.. الرجل ترك قطعة من التورته في الثلاجة فأكلتها زوجته!"

أسألهم في دهشة من أين عرفوا هذه التفاصيل، فيقولون في مرح:

-"الأستاذ زكريا نفسه!"

أهرع إلى الهاتف وأتصل بزكريا لأقول له إن كل الناس تعرف القصة.. منه هو شخصيًا، فيقول في غضب:

-"يتكلمون عن بيتي وعرضي وأنت تشاركهم هذا الحفل!.. هذا آخر شيء تصورته.. وحتى لو كنت أنا الذي أخبرتهم. فما هي المشكلة؟.. هذه أسراري يا أخي ومن حقي التصرف بها كما أتصرف بمالي.. أنفقه بالشكل الذي أريده!"

أضع السماعة شاعرًا بالدوار من هذه اللعبة النفسية المعقدة.. الناس تحب أن تشعر أن لديها أسرارًا خطيرة فهذا يرفع تقديرهم لأنفسهم، دعك من منحهم الفرصة للعب القط والفأر مع السذج من أمثالي. هنا يأتي ذلك الصديق ليقول لي:

-"من المفترض ألا أخبرك بما سأقول فهو من أدق أسراري، لكنني أشعر أن بوسعي أن أثق بك.. القصة هي.... لكن. إلى أين تهرب؟.. ماذا أصابك بالضبط؟"

لا أعرفه



لكـــل إنـــسان اهتماماته الخاصـة، وهـذه الاهتمامــات قــد تبــدو ســخيفة جــدًا بالنــسبة للآخــرين.. نفــس الــشيء ينطبق على المزاح.. لو أنـك راقبــت اثــنين يــضحكان وأنت لا تعرف عما يتكلمان ولا سبب ضحكهما، فإنهما يبدوان لك سخيفين جدًا!

أذكر أنني كنت أركب الطـائرة وجـاء ليجلس جـواري شـاب في العقد الثالث من عمره يضع عطرًا غريبًا. هذا كل انطباعي عن الأمر..

لاحظت في دهشة أنه لا يكف عن النظر لي في دهشة كذلك. هنا أدركت الحقيقة: لقد تعرف علي من الصور التي تنشر على أغلفة كتبي. هـذا جميل

بالطبع لكنني كنت أرغب في النوم قليلاً، ومعنى تعرفه علي أنني سأمضي الوقت في الحوار، ويجب أن يكون لي رأي محترم في كل شيء..

ابتسمت له في تقدير وهززت رأسي..

قال لي:

-"معذرة يا سيدي.. يخيل لي أنني أعرف هذه الملامح.. "

ابتسمت في ثقة وهززت رأسي:

-" ضياء فخري الكاتب المسرحي.. الصورة على الغلاف أجمل مني بكثير.. أعرف هذا.."

هز رأسه وابتسم:

-"ربما.. لكن هل تعرف عثمان خليفة؟"

لا أعرف عثمان خليفة.. أنا واثق من هذا... من هو عثمان خليفة؟.. لكن لا داعي للسؤال لأن هذا سيطيل خيط الحوار وأنا أريد أن اقطعه أصلاً.

بعد نصف ساعة ظهرت مضيفتان.. رأيتهما تنظران لي وتتهامسان.. ما هذا؟.. يبدو أنني شهير جدًا.. كان الله في عون نجوم السينما إذن.. إنهم لا يظفرون بلحظة راحة، إذا كان هذا شأن الكتاب المسرحيين!

بعد ربع ساعة ظهرت فتاة وقفت جوارنا وراحت تنظر في ذهول.. ثم

احمر وجهها.. وأخرجت كاميرا صغيرة والتقطت صورة.. الحقيقة أنني بدأت أنزعج فعلاً..

بعد عشر دقائق ظهرت فتاة حسناء تحمل كاميرا أخرى.. واتجهت وهي ترتجف إلى.. إلى جاري.. فقالت له:

-"كابتن ممدوح أبو شفة.. هل تسمح لي؟"

نظرت إلى جاري فرأيته يضحك في تواضع شأن من ضبط في وضع مخجل. ثم أن الفتاة ناولتني الكاميرا ونظرت لي نظرة ذات معنى، فنهضت بينما جلست هي مكاني، والتقطت ست أو سبع صور لها مع الشاب..

لم أنعم لحظة واحدة بجلستي بعد ذلك، لأن كل واحد في الطائرة كان يريد صورة له مع الكابتن ممدوح أبو شفة، حتى شعرت بندم لأنني لم أجلب معي كاميرا لأحتفظ بصورة لنفسي..

وعندما جلست تناولت المسرحية التي كنت أقرأ فيها منذ البداية، فمد الكابتن يده بأناقة وأخذها مني ثم وقع عليها في بطن الغلاف، كأنه يكره ألا أظفر بنصيبي من هذه النعمة..

ذهبت إلى الحمام فسألت المضيفة في خجل عن الكابتن ممدوح أبو شفة هذا.. من هو؟.. فبدا عليها الذهول من جهلي.. إنه نجم نجوم الكرة وهداف

الدوري. طبعًا بما أنني لا أفقه أي شيء عن كرة القدم فأنا لا أعرف من هو ولم أره من قبل، ولا يهمني أن أعرفه.. وتذكرت كلام أستاذ قديم لي قال إن كل إنسان لا يهتم إلا بما يهتم به.. من لا يهوى كرة القدم لو جئت له بمارادونا يلعب على سطح البناية فلن يهتم بصعود الدرج ليشاهده..

عندما هبطتْ الطائرة ودعت الكابتن، وهو ما زال ينظر لي في دهشة.. أبدو متعلمًا وبرغم هذا لم أسمع عنه قط.!...

هنا ظهر صديقي الذي كان ينتظرني، فصافحني في حرارة وقال:

ـ"تصور أن هذا الذي كان يركب في الطائرة جوارك لا يعرف أنه كان بجوار ضياء فخري الكاتب المسرحي الكبير!"

صحت به:

ـ"هات الكاميرا سريعًا!"

وطلبت من الكابتن أن يلتقط لي ولصديقي صورة معًا!..

على كل حال أستبعد أن يسمع عني ثانية أو أن يحسده أحد على أنه كان بجواري في الطائرة، بينما أعرف أن الناس ستحقد علي أيما حقد لو عرفت أنني كنت بجوار الكابتن ممدوح أبو شفة. والأدهى انني لم أعرفه. وهذا دليل على الجهل الشديد لدى أمثالي من المتعلمين.

المتشكك



أعجبني في عادل

إنه لا يقبل أي شيء كقضية مسلمة.. لابد من أن يسأل عنه ويبحث في الجذور، وقد كون شخصيته هذه نتيجة قراءاته في مجلة (المتشكك) الأمريكية ومشاهدة عروض (بن وتلر) على الفضائيات. هكذا كان شيء من المسلمات يتحطم لديه كل أسبوع.. من قال إن السباحة بعد الغداء مضرة؟.. أمهاتنا علمننا هذا لكنه لا يصمد لشيء من التدقيق. هل التلفزيون يضعف البصر فعلاً؟.. أطباء العيون ينفون هذا.. هل مقعد المرحاض ملوث بالبكتريا؟.. لا.. ليس أكثر من حوض المطبخ. هل التعرض للبرد يؤدي للانفلونزا؟.. بالطبع لا..

ثم بدأ يزحف على مقدسات الأمهات: السبانخ لا تضيف أي شيء من الحديد للجسم.. اللبن مصدر ضعيف جدًا للكالسيوم.

كان ينتقد كل شيء ويتشكك فيه رافعًا حاجبًا واحدًا، وهذا كان يجعله مستفزًا للجميع.. نحب أن يقبل أحد كلامنا أحيانًا..

ولهذا كانت أشهر عبارة يسمعها هي:

-"فلتقبل هذا من شخص جاهل مثلي.. دعني أنعم بحماقتي.. الخ"

كان عادل يشعر بلذة وحشية في التشكك..

وكنت أرجع دومًا لمصدر المعلومات التي يقولها فأجدها صحيحة دومًا. هذا رجل دقيق فعلاً.

في المقابل كنت أعرف واحدًا يصدق كل شيء.. يؤمن بكل نظريات المؤامرة.. يعتقد أن العالم لعبة يسيطر عليها الماسونيون. كل لغز جاء من الفضاء الخارجي في زمن سحيق حتى أهرام الجيزة ومعابد الأقصر..

هكذا يمكنك أن تتصور المعركة الفكرية التي كانت تنشب بين الاثنين في كل مكان.

كان هناك جدل حول الوصول للقمر وما قامت به السفينة أبوللو في الستينات. هنا لاحظت شيئًا غريبًا.. صار من يتشكك في وصول الأمريكان

للقمر غبيًا ضيق الأفق، بينما صار من يتشكك في هذا التشكك ذكيًا!..

عادل يتشكك في ان الأمريكان وصلوا القمر، ويرى أن هذه كلها تمثيلية تم تصويرها في ستوديو مهجور. وكلما سمع عن الوصول للقمر أخذ يضحك في سماجة:

-"هه هه هه!"

كنت أؤمن يقينًا أن الأمريكان وصلوا للقمر وقد درست الموضوع جيدًا.. كلما حاولت إقناع عادل ازداد سخرية.

هنا أدركت الحقيقة: تصديق كل شيء فعل غبي، لكن تكذيب كل شيء قد يكون أكثر غباء.

هناك أمريكان يشكون في جدوى اللقاحات.. يرون انها أكذوبة ابتكرتها شركات الأدوية للكسب.. ولا شك أنهم يقولون:

-"هه هه هه!"

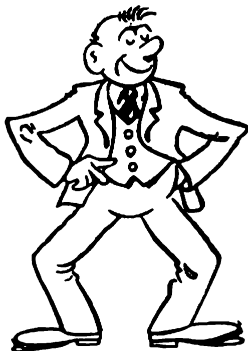
النتيجة كانت وفاة أطفالهم بالحصبة وشلل الأطفال.. فمن الغبي هنا؟

قلت لعادل إن من مصلحته أن يصدق بعض الأشياء من وقت لآخر. وإلا تدهورت حالته العقلية وبلغت الحضيض. فلن أندهش لو أنه قال لي

يومًا إن القصور الذاتي وهم.. أو إن الجاذبية الأرضية خرافة ابتكرها نيوتن ليحصل على مبلغ مالي ضخم من (كنجز كوليدج). ولا شك أن الشك في كل شيء قد يقود المرء للظلمات أكثر خطرًا وتعقيدًا.. إن الإيمان نفسه يقوم على تصديق ما لا تراه، فإذا أصررت على تكذيب ما لا تراه فماذا سيحدث بالضبط؟

قلت له هذا فقال إنه يشك في أنني أحاول منعه من التشكك.. قلت له إنني أشك في أن يهدر أي واحد على الشك في قدرتي على منع التشكك لدى أي متشكك. لكني فقط أنصحه بأن يقلل التشكك قليلاً حتى لا يجن ونجن نحن معه.

رجل لكل العصور



أهميــة هــذا المقــال

ومصدر طرافته هو أنه حقيقي تمامًا وأقسم على هذا. أي أنـه لـو كـان محـض خيـال فهـو خيـال سـخيف لا قيمـة لـه، بينمـا كونـه واقعيًـا يجعلـه مذهلاً فعلاً.

كنــت أريــد توقيــع بعـض الأوراق المهمـة في إحـدى المـصالح الحكوميـة، فقيـل إن علـي أن أجـد الأستاذ (مستمر).. مستمر هو اسم مستمار طبعًا. كـان رجـلاً في منتـصف العمر قصير القامة له كرش صغير وعينـان ضيقتان قانـصتان للفـرص. رأى الورق فأبدى ملحوظة حول أنه مكتوب باليد.. وطلـب أن أحـضر لـه نـسخة مطبوعـة.. لما رأى القلـق علـى وجهـي قـال لـي إنـه يملـك مكتـب طباعـة بالكمبيوتر وسوف يتولى هذا الأمر..

أخذ مني الورق وأعاده لي مطبوعًا في اليوم التالي ولم ينس أن يوقعه. هكذا اعتدت أن أزوره في مكتب الطباعة كلما أردت طباعة شيء ما أو توقيعه دون الذهاب للمصلحة الحكومية..

تلفت سيارتي العتيقة فبحثت كثيرًا عن شخص يبيعها لي.. لم أجد.. نصحني أهل الحل والعقد بأن أعطيها لمن يدعى بـ (مستمر).. إنه خير سمسار سيارات يمكن أن أجده..

-"هل تعنون (مستمر) الذي يعمل في مصلحة كذا؟"

-"هو بعينه.. إنه سمسار سيارات كذلك"

ذهبت له في مكتبه وأعطيته مفاتيح السيارة فوعد أن يبيعها لي بأفضل سعر ممكن.. والأهم أنه سيجد لي سيارة جديدة بسعر مناسب.. قلت له إن سيارتي القديمة بحاجة إلى تغيير شموع الاحتراق، فقال إنه لا مشكلة... قالها وهو يحمل في يده مفتاحًا لفك شموع الاحتراق..

أردت أن يحفظ ابني القرآن الكريم. بحثت عن شيخ مناسب فلم أجد.. هنا قال لي صديق مخلص:

-"هناك رجل ممتاز يجيد تحفيظ القرآن.. ربما كنت تعرفه.. اسمه الأستاذ مستمر!"

وقد كان.. وجاء اليوم الذي تعالى فيه من غرفة في داري صوت الأستاذ مستمر وهو يردد آيات الجزء الثلاثين من القرآن، بينما ابني الصغير يحاول تقليده..

أما عندما ضرب بعض الأطفال المشاغبين ابنتي الطفلة في المدرسة، فقد صممت على أن أعلمها التايكوندو... وجدت جيمنزيوم صغيرًا قرب داري يعلن عن دورة لتعليم التايكوندو، فذهبت وملأت نموذجًا وأعطيتهم صورة صغيرة لها..

قررت على سبيل الفضول ان أحضر الدرس الأول لأطمئن.. وهنا سمعت من وراء المرآة صوتًا مألوفًا يصيح:

ـ"هاااا!.. أقوى!"

هرعت أنظر فوجدت الأستاذ (مستمر) يلبس ثيابًا عجيبة يفترض أنها كورية، وهو حافي القدمين وقد برز كرشه.. كان يحاول جاهدًا أن يرفع ساقه في الهواء ليوجه ركلة..

إذن هو يجيد التايكوندو كذلك وقد أقنع مركز الجيمنزيوم بأن يتولى عملية التدريب..

إنه لرجل عبقري.. عرفت هذه الحقيقة وأنا أعيد ابنتي للبيت.

يؤدي عمله صباحًا ثم يهرع لتحفيظ القرآن في البيوت، ويتفقد مكتب الكمبيوتر الذي يملكه، وفي الوقت ذاته يجد الوقت ليأتي هنا ويركل الهواء، وفي الوقت ذاته لا يترك سيارة صالحة للبيع أو الشراء من دون أن يدلي بدلوه فيها.. نسيت هوايته للميكانيكا كذلك.. المشكلة أنه لا يمكن أن يجيد كل شيء ،لأن كثير الحرف لا يجيد أي شيء كما يقول البريطانيون..

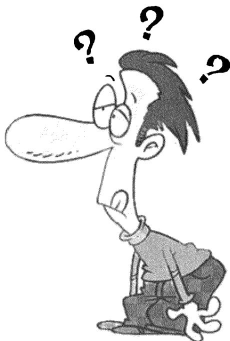
إن الأستاذ (مستمر) هو واحد ممن أفرزتهم الظروف الاقتصادية الصعبة في مصر، حيث يجب أن تمارس عشرة أعمال والا مت جوعًا..

كان هذا قبل أن أصاب بألم في ظهري وأحتاج إلى جراحة دقيقة في الفقرات..

عندما دخلت غرفة العمليات بدا على القلق والتوتر. أقنعني طبيب التخدير أنه لا خطر علي.. أنا صرت كبيرًا بما يكفي...

لكني كنت أريد شيئًا واحدًا.. أريد التأكد من وجه جراح المخ والأعصاب الذي سيجري علي الجراحة. ثم وجدت انه لا جدوى.. في جميع الأحوال سوف أنام وأصير تحت رحمتهم. فماذا يمنع من دخول الأستاذ مستمر وقتها ليجري لي الجراحة؟؟؟!!

عن الحلول القريبة



في أحــــــد الـــــــبرامج التليفزيونيــة الــسخيفة المعتــادة، ظهر شاب يتدلى شعره على كتفيه ويمــضغ قطعــة لادن ولم يــترك موضة لم يلبـسها. كـان هـذا منـذ أعوام طويلـة عنـدما كنـت طفـلاً.. هــذا يخـــبرك بــأن هــذه القــصة حدثت غالبًا في العصر البـاليوزي أو العصر الجليدي الأول.

ما حدث هو أن المذيعة التي تقدم البرنامج الجماهيري سـألت الفتـى سؤال ذكاء: لديك كلب بحر أزرق هبط ليستحم في البحـر الأحمـر.. مـا هـو لونه عندما يخرج؟.. قال الفتى وهو يتقصع: يخرج ولونه بني!

كانت هذه نكتة العصر، وسرعان ما خرجـت الـصحف تتحـدث عـن تفاهة هذا الفتى وقلة ثقافته وغبائه.. كلب البحر الأزرق سوف يخـرج مـن

الماء أزرق أيها الجاهل. كنت أنا مندهشًا أشعر بحيرة.. من الواضح أن الفتى يعرف هذه المعلومة.. لا أحد أكبر عمرًا من شهر لا يعرفها. إذن هو افترض أن هناك خدعة في الموضوع، وأن الأمر ليس بهذه السهولة، وقال إجابته التي جعلت العالم كله يسخر منه. لا يوجد أحد جاهل إلى هذا الحد وبالتالي فالفتى على الأرجح كان يمزح. ثم تعال هنا.. هل يوجد كلب بحر أزرق؟؟.. لماذا اتهمنا الفتى بالجهل ولم نتهم واضع السؤال؟

هناك قصة شهيرة عن الخليل بن أحمد الفراهيدي، الذي جاءه طالب سمج يسأله سؤالاً أشد سماجة. صمت الخليل العبقري لفترة طويلة بينما التلاميذ يتصايحون في غيظ: هيا.. رد على هذا الجاهل. افحمه!..

لكن العبقري ظل صامتًا وفي النهاية قال للطالب: أنا لا أحسن الإجابة عن هذا السؤال!

فلما انصرف الطالب راح تلاميذ الخليل يضجون.. وقال له أصغرهم إنه كان بوسعه أن يرد على الطالب الوقح، لكن الخليل قال: لو رددت عليه بكذا لقال لي كذا.. لو رددت بكذا لسألني كذا.. فبم أرد وقتها؟.. لهذا فضلت الصمت!

لقد شعر بالشرك المنصوب له وفضل الصمت، وهكذا بدا أمام الناس

جاهلاً بينما هو في الواقع ينعم بدرجة ذكاء أعلى. بالطبع لا أقارن الفتى الخنفس بالخليل بن أحمد.. لكني أردت القول إن المبدأ واحد. قد يبالغ المرء في الحذر أو يتوقع مطبًا ما مما يظهره أمام الناس جاهلاً.

أذكر أن أستاذتنا في كلية الطب رأت مريضًا يعاني مرضًا جلديًا واضحًا.. ظلت صامتة ولم تعط رأيًا بينما أوشكنا نحن الطلبة على الجنون. لماذا لا تقول التشخيص الذي نعرفه جميعًا؟. المرض الجلدي يوشك على الصياح: "أنا كذا". فيما بعد قرأت المزيد عن هذا المرض وعرفت أنه يشتبه مع أمراض كثيرة جدًا. لقد كانت هي حذرة جدًا وتعرف حدودها جيدًا بينما نحن تصرفنا برعونة وبلاهة.

عندما يسألني أحدهم عن أقصر مسافة بين نقطتين لا أرد.. فيما بعد عرفت أنه ليس الخط المستقيم.. هناك ضرب من الرياضيات الحديثة قال إنه خط منحن يمر في مستوى آخر. شيء من هذا القبيل على كل حال، وعندما يسألني أحد عن الأثقل.. طن الريش أو طن الحديد، فإنني أصمت.. عرفت فيما بعد في كتاب فيزيائي مدقق أن طن الريش أثقل.. لا أذكر البرهان العلمي، لكنه يعني أن الأمور أعقد مما نتصور..

معرفة هذه الحقيقة جعلتني أرفض أحيانًا أن أعطي إجابات سهلة.. لي صديق أرسل لي صورة فتاة لها ثلاثة أذرع، وسألني:

-"ما الخطأ في هذه الصورة؟"

بالطبع يمكن أن أجيب بأي إجابة إلا أن تكون الفتاة ذات ثلاثة أذرع... هذه الأجوبة القريبة غير واردة أصلاً. من المستحيل أن يكون هو بهذه الحماقة، ومن المستحيل أن يفترض إنني بهذا الغباء. هكذا رددت عليه في ذكاء:

-"شعر الفتاة يتطاير لليمين بينما الشجيرات في الخلفية تتطاير لليسار!"

بالطبع رد علي في انتصار:

-"غبي!... الفتاة لها ثلاثة أذرع!! أنت عديم الملاحظة فعلاً"

طبعًا لن يفهم وجهة نظري ولن يفهم هذا المقال أبدًا. إنه الآن يحكي لرفاقه عن أغبى حمار قابله في حياته: أنا .. على كل حال رب اغفر لهم فهم لا يعلمون..

جاي لك في الكلام



يحكي الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل أنه قبل غزو الكويت استدعى (صدام حسين) السفيرة الأمريكية في بغداد (إبريل جلاسبي) ليبلغها رسالة مهمة. هنا لاحظ هيكل أن وثائق السفيرة اكتفت بذكر ما قالته هي لصدام حسين. والنتيجة هي أن اللجنة التي قيمت أداء السفيرة بعد الحرب أعلنت أن فشلها كان كاملاً. يذكر هيكل ملاحظة نحسبها بديهية. هي أنه عندما يستدعي رئيس الدولة السفير فإن المهم في الكلام هو ما قاله رئيس الدولة. أما عندما يطلب السفير لقاء رئيس الدولة فالمهم ما قاله السفير. بينما الشائع في الوثائق العربية بالذات أن نجد العكس.. يطلب رئيس الولايات المتحدة شخصيًا مقابلة سفير عربي، فيكتب السفير العربي في تقريره: "قلت للرئيس الأمريكي كذا.. وأوضحت له أن موقف حكومتنا ثابت من كذا.. وأن العلاقات بين البلدين لن تتأثر بكذا..". بينما يظل السؤال بلا إجابة: يا أخي ماذا كان الرئيس الأمريكي يريد منك؟

هنا يتكرر كثيرًا في حياتنا...

يحكي لي (عباس) إن (إبراهيم) اتصل به وطلب لقاءه لأمر ملح.. يذهب (عباس) للقاء (إبراهيم) متوجسًا. بعد هذا يحكي لي عباس كلامًا لا أول له ولا آخر: "قلت له كذا وكذا.. وأنذرته أن كيت وكيت.. ثم كررت عليه أن كذا وكذا....
"

هنا تستوقفه طالبًا معرفة ما قاله (إبراهيم) فهذا هو بيت القصيد، لكنه يقول العبارة الشهيرة:

-"جاي لك في الكلام"

ويواصل القصة: "قلت له إن موقفه من (آمال) موقف جبان وإن عليه أن يعتذر.. وإن لم يفعل فلسوف تكون هذه آخر مرة أراه فيها، وإنني أعرف (سيد الشماشرجي) و(سيد) قادر على جعله يندم على كل كلمة قالها.. "

-"وماذا قال هو؟.. أريد معرفة كل كلمة قالها هذه.."

-"يا أخي اصبر قليلاً!"

والنتيجة أنك بعد ساعة لا تعرف السبب الملح الذي استدعاه (إبراهيم) من أجله.

(جاي لك في الكلام) عبارة شهيرة في هذا النوع من المحادثات، لكن خبرتي المتواضعة تقول إن هذا الشيء لا يأتي في الكلام أبدًا!...

أنا مشغول



أشعر بخجل

من نفسي لأنني غير

مشغول على الإطلاق

في أي لحظة.. يقترح

صديقي أن يمر علي في

الثالثة بعد الظهر

فأوافق، ويعرض

الثامنة مساء فأوافق..

يقترح أن يزورني الآن فأوافق.. يطلب مني مهمة فأوافق على أن انفذها حالاً.. هكذا ينظر لي في شك وشيء من الازدراء.. هل حقًا لا يشغلني شيء على الإطلاق؟.. هناك تعبير يصف هذه الحالة من الفراغ بأنها (تفلية القطط).. أي إنني لا أجد ما يشغلني سوى التقاط البراغيث من فراء القطط. الحقيقة أنني مشغول أنا الآخر لكن اليوم 24 ساعة، وأعتقد أنه يتسع لكل شيء لو أحسننا التصرف..

عندما يدعونني إلى ندوة أقدمها أنا فإنني أصل هناك قبل الموعد

بنصف ساعة، بينما لا يصل أي واحد من الجمهور أو من دعوني للندوة.. وأجلس وحدي في المدخل أنتظر.. ثم يصل الناس فيندهشون لأن وقتي متسع لهذه الدرجة. بعض من كانوا يعجبون بي يراجعون موقفهم.. هل من الحكمة أن تعجب بشخص لا يشغله أي شيء على الإطلاق؟

حتى عندما أبدي قدرات عقلية معقولة.. مثلاً أتذكر تاريخ معركة حربية أو اظهر براعة في تعلم اللغة الأترورية، فإن هذا يدل الناس على أن عقلي خاو تمامًا وليس لدي ما يشغلني، بينما هم منهمكون بعظائم الأمور.

ليس هناك إنسان يتحمل أن تكتشف أنه ليس مشغولاً.. كلهم مشغولون.. كلهم مهمون جدًا بينما أنا الشخص الوحيد غير المهم في العالم..

طلبت من صديق أن أزوره فقال إنه مشغول جدًا.. في النهاية قال إنه سيسمح لي بخمس وخمسين دقيقة. بدا لي هذا غريبًا.. لماذا لا تكون ساعة؟.. ثم فطنت إلى أن هذا من صميم الأهمية.. كل شيء محسوب بالثانية.

زرته وجلست معه.. هنا استغرقنا الحديث فاستغرقت الجلسة ساعتين وهو لم يتذكر قط.. ثم جلس إلى شاشة الكمبيوتر وأراني كيف يقوم بتلوين الصور الأبيض والأسود لتصير ملونة، وعرض علي برنامجًا جديدًا

للتحريك.. ثم أراني مجموعته الخاصة من الضفادع، وعلمني كيف يلقي لها بالحشرات في القفص الزجاجي ويراقب طريقة التهامها.. ثم بعد قليل نظر لساعته وأعلن أنه مشغول جدًا.. هكذا انصرفت شاعرًا بالخجل لأنني غير مهم، برغم أن جلستنا السابقة بدت أقرب شيء إلى تفلية القطط بالنسبة لي..

صديق آخر حدثني عن تعقيد حياته، وكيف أن وقته محدد بأعشار الثواني، حتى حسبته يعمل في وكالة ناسا. لما جلسنا بعد ذلك وجدت أنه يجري محادثة (شات) مع أرملة حسناء.. استغرق الشات ساعتين على الأقل.. ويبدو أنه يكرر هذا ثلاث مرات يوميًا...

بالطبع هناك أشخاص مشغولون فعلاً، ووقتهم ثمين فعلاً، لكنني تعلمت مع الوقت أن هؤلاء أميل للصمت.. اما الشخص الثرثار الذي يصدعك بالكلام عن انشغاله وعن وقته الثمين، فهو غالبًا ألمن عينة من العاطلين في العالم .. لديه فراغ قاتل ولا يجد شيئًا يفعله على الإطلاق..

البديل أنه يقنع نفسه ويقنع الناس أنه مشغول جدًا..

أما الدرس الأهم الذي تعلمته بعد هذا العمر فهو: لا تكن صريحاً..

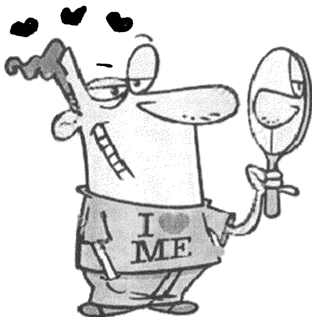
لو لم تكن مشغولاً فلا تقل هذا أبدًا لأنه ينزل بك درجات في عيون الآخرين.

عندما يطلب أحدهم شيئًا منك فعليك التفكير وطلب مهلة.. ولتظهر على وجهك أن طلبه هذا قد دمر جدولك الزمني وربما أدى لتشريد مئة أسرة كانت تعتمد عليك في رزقها.. صحيح أن طلبه قد يكون أن تشعل له السيجارة بقداحتك، لكن لا تفعل هذا بسرعة.. بل يجب أن يتم بصعوبة ويستغرق وقتًا..

لا تذهب لأي موعد في الموعد.. هذه نصيحة مهمة لكرامتك ونظرة الآخرين لك.. حتى لو لم تجد شيئًا تفعله، وحتى لو كان عندك ساعة تمضيها في تفلية القطط على الرصيف، فافعل ذلك..يجب ان ينتظرك الآخرون بأي ثمن.. ولو استطعت ألا تذهب لأنك مشغول فهذا أفضل..

إن مجموعة من المتظاهرين بالانهماك هم أقدر الناس على التقدم بهذا المجتمع.. أعني التظاهر بأنه متقدم!. على الأقل سوف يوجدون عالمًا من القطط بلا براغيث!

عشاق أنفسهم



هناك في كل مكان أشخاص يحبون أنفسهم بشكل غير عادي.. لدرجة العشق، حتى إنني اعتقد أنهم يتبادلون القبلات مع أنفسهم إذا وجدوا مكانًا شاعريًا..

قلت في مقال سابق إنني مندهش من رجل يطلب مئة ألف جنيه ثمنًا لسيارته التي لا تتجاوز ثلاثين ألفًا بحال، أو يريد بيع شقة لا يتجاوز ثمنها 200 ألف جنيه بمليون جنيه.. لا تندهش.. هو يحب نفسه بدرجة مكثفة ويرى من الطبيعي جدًا أن يطلب هذا لأنه يستحق.. لماذا يستحق؟.. لأنه هو..

ذات مرة قرأت إعلانًا مبوبًا نشرته سيدة مطلقة أو أرملة تقول:

-أريد زوجًا ينفق علي أنا وابني.. ويعطيني شقة تمليك. من فضلكم أريد

من يعطيني شقة تمليك.. أريد أن ينفق علي أنا وابني ويحمينا.. وأريد شقة تمليك".

هل أعطت السيدة أي وعد؟..هل هناك صورة تثبت أنها تستحق هذه التضحيات؟.. هل هي أغنى امرأة في العالم؟... هل هي ملكة جمال فنزويلا؟.. إنن ما المبرر ومن الفدائي الذي يقوم بهذا لمجرد أنها هي؟.. يفعل هذا كله لامرأة لم ير صورتها ولديها ولد! . التفسير هو أنها تحب نفسها بجنون.. ترى انها تستحق كل شيء..

الأمثلة كثيرة في ذهني..

ابنتي الصغيرة عادت من مدرستها متهللة متوردة الوجه تحمل لنا بشرى. المدرسة تقيم حفل شواء في المزرعة المجاورة لها. ناولتني ورقة بها ذلك التنويه:

"يشرفنا دعوتكم لحفل الشواء (باربكيو) الذي تقيمه مدرسة (عيني يا عيني) يوم الجمعة القادم. على ولي الأمر أن يحضر معه الفحم وأدوات الشواء. سعر الاشتراك في الحفل مئة جنيه.

"ملحوظة: نرجو أن يحضر ولي الأمر اللحم معه!"

قرأت الرسالة ورحت أضرب كفًا بكف..

ما الذي تقدمه المدرسة إذن؟.. الفحم واللحم والمئة جنيه عليك. ما

التضحية في الموضوع؟.. هل الفكرة هي أنهم يقدمون المكان؟.. أي مكان؟.. هم سيجعلوننا نجلس في الحقل.. والحقل ليس ملكاً لهم.

لكن ابنتي كانت متحمسة جدًا لهذا الشيء الرائع. ألطف مدرسة في الكون. وبالطبع لو رفضت المشاركة في حفل النصب هذا فأنا ألعب دور الذئب الشرير في قصص الأطفال التي تطالعها..

ذهبت فعلاً للحفل وشويت لحمًا، وكان أظرف شيء هو ان المدرسين دعوا أنفسهم إلى اللحم الذي ابتعته أنا على سبيل التبسط والظرف، وكانت ابنتي فخورًا جدًا لأن معلميها يشاطروننا الطعام.. يعني لو جمعوا شريحة لحم واصبعي كفتة من كل أب أحمق لظفروا بوليمة مجانية رائعة.

هل هو حفل؟.. بالطبع هو حفل.. حفل النصب على أولياء الأمور وجمع المال منهم.

تذكرت الرحلة التي قامت بها ذات المدرسة، وعادت ابنتي تزف لي خبر أنهم أطعموهم في محل شهير للهامبرجر.. سمحوا لهم بأن يأكلوا كما يشاءون. بدا لي هذا كرمًا مبالغًا فيه فسألتها عمن دفع الثمن من المعلمين، فقالت:

-"نحن!.. توقفت الحافلة أمام المطعم وقالوا لنا أن ندخل ونأكل ما نريد وندفع ثمنه ثم نعود لهم.. سوف ينتظروننا!"

يا له من كرم فعلاً..

لماذا تفعل المدرسة هذا؟.. لأنها تحب نفسها إلى درجة العشق كما قلنا..

نكرني صديق لي بذلك المشهد العبقري الذي كتبه لينين الرملي وأداه صبحي في مسرحية (تخاريف) عندما يتعهد الدكتاتور بأن ينفذ ذلك الجزء من الرأسمالية الذي يختص بجمع المال من الناس، ثم يتناسى الجزء الخاص بإعطائهم خدمات في المقابل... يجمع ضرائب ولا يرصف الشارع.. يتقاضى أرقامًا فلكية في فواتير الكهرباء وبرغم هذا يسود الظلام.. و... و... حفل الشواء هنا تكرار فاضح لما يحدث في المدارس الأمريكية، لكن لا أعتقد ان مدارس منيسوتا تقول للطلاب:

ـ"هاتوا اللحم معكم"

هي إذن مزيج من الرأسمالية الأمريكية والفهلوة واللصوصية بحيث يكون الناتج مسخاً بلا معالم.

إن الذين يعشقون أنفسهم في كل مكان.. تقابلهم في كل صوب.. بدءًا بالفتاة التي تسمي نفسها (كتكوتة) في الفيس بوك أو البريد الالكتروني. والشاب الذي يلتقط لنفسه عشر صور وهو مسبل العينين يحلم، مرورًا بالسيدة التي تطلب شقة مجانية لأنها هي، وبالشقة التي تبلغ مساحتها مساحة منشفة المائدة ويطلب صاحبها لها ثمن قصر، وانتهاء بالدولة التي تحصل ضرائب مفزعة بلا خدمات.

متى بدأ كل شيء؟



تــثير أعــصابي بجنــون الطريقــة الــتي تتناول بها الصحف بعض الأخبـار. مثلاً أنـا أتـابع بدقـة جريـدة (الـصرصور الثرثار) ولا أفوت سطرًا منهـا.. فجـأة أجـد هـذا الخبر يوم الثلاثاء مثلاً:

التشريح لم يثبت شيئًا في جثة عباس أبي شفة

من هو عباس أبو شفة؟.. لماذا يشرحونه؟.. معنى هذا أن هناك سببًا قويًا للتشريح، ومعنى هذا أني لا أدقق في قراءة الصحف بما يكفـي.. هكـذا أعود للصحف السابقة فأجد هذا الخبر الصغير:

عباس أبو شفة الذي التهم سلحفاة يموت في المستشفى

أعـود لأعـداد سـابقة مـن الجريـدة، فـلا أجـد أي خـبر. هـذا يـثير

غضبي.. الجرائد لا تحوي سوى تطورات حالة عباس أبي شفة التالية لالتهام السلحفاة. لكن أين القصة الكاملة؟.. متى بدأ كل شيء؟... ما الظروف التي تدفع إنسانًا بكامل قواه العقلية لالتهام سلحفاة؟

أريد أن أجد الخبر الأول الذي يبدأ كل شيء، ونصه:

نتيجة لفقد قواه العقلية قام محاسب في الأربعين من عمره بالتهام سلحفاة

وتكون هذه هي البداية، لكن الصحفيين جميعًا لا يفعلون هذا. لا أحد يعبأ براحتي النفسية أو إسعادي. إنهم قساة فعلاً.

بعد أيام أرى خبرًا يقول:

لا صحة للإشاعة التي انتشرت حول محمود الشبراوي

من هو محمود الشبراوي؟.. وما هي هذه الإشاعة؟.. ولماذا اختلقها وغد ما؟.. أقرأ الخبر بعناية فأعرف أن من يدعى محمود الشبراوي ينفي تمامًا الإشاعة التي أحاطت به، ويؤكد أن أعداء النجاح هم من أطلقوها عليه. هكذا لا أعرف شيئًا على الإطلاق. بعد يومين أفتح الصحف لأجد أن الشبراوي يقاضي التهامي بسبب الإشاعة التي أطلقت عليه. أريد ببساطة أن أجد الخبر السعيد الذي يقول: التهامي يزعم أن الفنان محمود الشبراوي يأكل الموز بقشره..

هكذا يصير تسلسل الأخبار صحيحًا.. زعم ثم نفي ثم مقاضاة..

عندما أنوي أن أسرق المصرف مثلاً سوف أرسل للصحف اخبرها بالتفاصيل منذ أول لحظة:

محمد حمدان ينوي سرقة المصرف اليوم في الساعة الثالثة مساء

ثم أرسل للصحف في اليوم التالي: محمد حمدان سرق المصرف وتمكن من تهريب المال ويقوم بعده الآن في مقره السري. في اليوم الثالث أرسل للصحف: الشرطة تطارد حامد حمدان وتوشك على مهاجمة مخبئه. في اليوم الرابع يكون الخبر: حامد حمدان سارق المصرف في قبضة الشرطة. حامد حمدان يزعم أنه لم يسرق المال. ثم: حامد حمدان في السجن.

هكذا يحترم المرء عقلية القارئ ويحافظ على التتابع المنطقي للأحداث، ويكون بوسع القارئ أن يعرف كل بدأ كل شيء وكيف تطور، بدلاً من ان يكون الخبر: القبض على محمد حمدان، دون أن يعرف القارئ من هو ولا متى قرر أن يسرق المصرف.

كيف بدأ كل شيء؟.. هنا أهم شيء عندي.. لقد رأيت في طفولتي مشاجرة عنيفة في الشارع، فدنوت من أحد الواقفين أسأله فقال لي: لقد ركله في ظهره!

من ركل من؟.. ولماذا؟.. وكيف بدأ كل شيء؟.. لا أحد يجيب ولا وقت لأحد كي يشرح لك.. كأنهم يتلذذون بإشعارك بأنك جئت متأخرًا جدًا وأنك آخر من يعلم. لكن لو كان هذا مبررًا لدى العامة في الشارع فلا أفهم لماذا تصر الصحافة على نفس الشيء؟

هلاوس عن..

المرور



تاكسي ملاكي



قررت محافظة القاهرة أن تجدد كل سيارات الأجرة فيها، وبيعت سيارات الأجرة القديمة بملاليم مقابل أن يظفر أصحابها بسيارات حديثة يدفعون ثمنها بالقسط.. عبقري ما خطر له أن يبيع تلك السيارات العتيقة للمحافظات، وهناك قام البعض بتغيير لونها لتصير سيارات خاصة.. النتيجة أن تلك السيارات العتيقة الخاصة ملأت محافظات مصر، ويعمل عليها سائقو سيارات أجرة، لكنهم يتظاهرون بأنها سياراتهم الخاصة.. بالتالي هم لا يدفعون ضرائب سيارات الأجرة ويظفرون بنوع من الحرية.

كنت متأخرًا عن موعد مهم، عندما فوجئت بسيارة خاصة عتيقة الطراز تتوقف أمامي.. رأيت السائق الذي يلف عنقه بمحرمة عريضة ويضع عوينات سوداء يصرخ في وجهي.. يصرخ بتلك الطريقة الهامسة:

ـ"آ... آ.. سي..."

لم أفهم.. دنوت من النافذة أكثر، فعاد يصرخ بطريقة الصراخ الهامس:

-"تاكسي!!"

هنا فهمت أنها سيارة أجرة متنكرة من تلك السيارات التي ملأت المدينة. بالطبع هو لا يبدو كسيارة أجرة لهذا لابد أن ينادي معلنًا بضاعته.. في الوقت نفسه لا يصرخ بصوت عال جدًا وإلا سمعه رجال شرطة المرور!

هكذا توكلت على الله وفتحت الباب وجلست. هذه ليست سيارات بل هي أدوات تعذيب من القرون الوسطى. لابد أن قضاة محاكم التفتيش كانوا يرغمون ضحاياهم على الجلوس في أشياء كهذه. حددت له وجهتي في شارع عدلي فتوكل على الله وشغل المحرك.. ثم سألني:

-"شارع عدلي؟.. أين هو؟. هل تعرفه؟"

هنا فهمت أنه ليس سائق أجرة محترفًا كذلك. يعتمد عليَّ كلية لمعرفة الاتجاه. فهمت كذلك أنه يعتمد على الركاب من الرجال فقط. ما من امرأة ستقبل ركوب سيارة خاصة ما لم تكن امرأة خليعة.. وأنا استبعد أن تركب امرأة خليعة أو غير خليعة أداة جز الأعشاب هذه.. سوف تصاب بارتجاج مخي وتموت.

رحت أشرح له أين يوجد شارع عدلي، فقال لي بلهجة متوسلة:

ـ"طبعًا الأستاذ طيب وابن ناس، ويهمك ألا تقطع عيشي.. لهذا أتوسل إليك.. أنا ادعى (أسامة محمود).. أقيم في 8 شارع الحرية.. والآن قل لي.. ما اسمي؟"

قلت في تردد:

ـ"أسامة محمود.."

ـ"برافو.. أقيم في 8 شارع الحرية.. أنت ابن خالي ونحن ذاهبان لزيارة عمتك المريضة.. اتفقنا؟"

ثم عاد يسأل:

ـ"أين أقيم؟"

ـ"في 8 شارع الحرية.."

وكان من واجبي أن أسأل، فشرح لي.. سيارته تبدو كسيارة أجرة متنكرة. هو يبدو كسائق سيارة أجرة متنكر.. لهذا يتوقع في أي لحظة ان يستوقفه شرطي مرور ليطلب رخصته.. شرطي المرور سوف يشك في أنني زبون، لهذا سوف يسألني عن اسمي وعلاقتي بالسائق.. غالبًا سيسألني عن اسم السائق، فإن لم أعرف استنتج أنني مجرد زبون...

أما لماذا أنا ابن خال السائق، فهذا ليفسر عدم تشابه الاسمين..

فهمت....

هكذا ظللت طيلة الوقت أردد لنفسي: *أسامة محمود.. 8 شارع الحرية.. أسامة محمود.. 8 شارع الحرية.. أسامة محمود.. 8 شارع الحرية..*

لم أتنبه إلا عندما وجدت رجل الشرطة يستوقف السيارة.. ينظر لي في شك كأنني أخفي في ثيابي شحنة مخدرات، ثم ينظر للسائق.. تفحص الرخصة بعناية، ثم سألني إن كنت أعرف السائق.. قلت بصوت مبحوح وفم جاف:

ـ" أسامة محمود.. 8 شارع الحرية.. عمتي مريضة.."

ابتسم كأنه عاش هذا الموقف مرارًا، ثم التفت للسائق ليسأله:

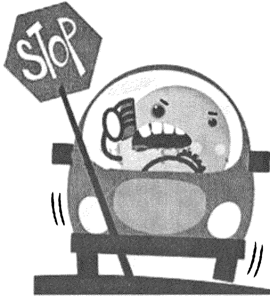
ـ"وما اسمه هو؟"

يا للكارثة!!

هنا تذكرت أن السائق لا يعرف اسمي ولم يسأل. أنا أبدو كـ (أحمد) ولا يحتاج المرء لذكاء شديد ليخمن ذلك، لكنني بدوت للسائق (مصطفى)، وهو ما قاله. ومن الغريب أن شرطي المرور اكتفى بذلك وأطلق سراحنا...

دعني أؤكد لك أنني لن أركب أية سيارة أجرة لا تبدو كذلك أبدًا.. لقد مررت بكل ما يمر به المجرمون والمهربون من دون أن أقترف شيئًا، وأعتقد أن مرة واحدة في العمر تكفي!

غزو خاطفي الأجساد



أقـود سـيارتي في ذلك الشارع الهادئ الخالي نسبيًا، وهذا شيء نـادر في مـصر. هنـا أفاجـأ بتلـك السيارة المجنونة المندفعة من خلفي تتجـه يمينًا ثـم يسارًا ثم يمينًا ثم يـسارًا.. أنت تعرف أن السيارات تكتسب طباع سائقيها، وهكذا قد تـشعر أن سـيارة بعينها نافدة الصبر أو لحوح أو مستهترة أو سمجة.. هذا موضوع يطول عـن كيف كنت أرى الـسيارات في طفولتي، وكيـف كانـت هنـاك سـيارات فظـة وسيارات أنثوية رقيقة وسيارات مثقفة. ليس هذا موضوعنا اليـوم علـى كـل حال.. أقول إن السيارة تطاردني بإلحاح وتربك قيـادتي.. في النهايـة أنجـو من سائقها بمعجزة وألتفت لأرى من هو هذا الـشاب المـستهتر. أفاجـأ بأنـه رجل أشيب وقور يضع الهـاتف المحمـول علـى أذنـه ويـتكلم.. وبـالطبع لا يبالي بي بتاتًا ولا يلاحظ نظراتي التي يمكن أن تحرق صخرة.

لم أر في حياتي عادة أسوأ، ولم أر شيئًا يبدد انتباه السائق ويجعله يرتكب كل الأخطاء الممكنة، ولم أر شيئًا يهبط بمستوى القيادة إلى الربع، مثل ذلك الاختراع المشئوم. والمشكلة أنني لا أعتقد أن هناك مكالمة بهذه الأهمية أو لا تستطيع الانتظار خمس دقائق.. لو كان السائق هو رئيس الولايات المتحدة وعليه اتخاذ قرار قصف روسيا بالقنابل الهيدروجينية أم لا، فبوسعه دائمًا أن يتوقف إلى يمين الطريق ليجري مكالمته. أما أن يتواصل على الهاتف أثناء القيادة مهددًا حياته وحياتي وحياتك فهذا شيء لا أبتلعه بتاتًا.

لاحظت أيضًا أن الناس عندما يجرون مكالمة على الهاتف المحمول لا يسمعون آلات التنبيه أبدًا. هناك بالطبع قانون يمنع استعمال الهاتف أثناء القيادة لكنه كالسيف في غمده. يستعمل فقط عندما يروق ذلك لرجال المرور.

انطلقت بالسيارة من جديد فكاد يصطدم بي سائق آخر.. نظرت له فوجدت أنه يتكلم في المحمول ولا ينوي أن ينظر لي.. لقد انطلق في رحلة الحياة القدرية لا ينظر ذات اليمين ولا ذات اليسار. أطلقت نفيرًا محتجًا.. هنا كدت أصطدم بسيدة.

سيدة تعبر الطريق في تؤدة دون أن تنظر إلى أي سيارات قادمة. تضع

على أذنها الهاتف الجوال وتضحك من دعابة قالها الطرف الآخر. كنت مندفعًا بقوة وبدا لي أنه من الصعب أن أنقذ الموقف بفرملة، لذا أطلقت نفيرًا عاليًا لكنها كانت في عالم آخر.. وبصعوبة توقفت على بعد 15 سنتيمترًا منها. لن تعرف أبدًا أن حياة جديدة كتبت لها.

هنا سمعت فرملة من خلفي.. كاد أحدهم يصطدم بي وهو مندفع. لقد توقفت فجأة طبعًا وبلا إنذار، لهذا استدرت كي أعتذر له.. كي أخبره أنني أحمق تعس الحظ. هنا وجدته يتكلم في الهاتف الجوال. لم يلحظ أصلاً أنه توقف وإنما قامت قدماه باللازم..

انطلقت بالسيارة من جديد لأجد رجلاً يعبر الطريق والإشارة حمراء. لم يكن يحمل هاتفًا جوالاً لهذا اندهشت من بطئه الشديد.. ربما هو أصم لأنه لم يسمع صوت آلات التنبيه. عندما دنوت أكثر وجدت أنه يتكلم مع شخص ما ويحرك يديه في حماسة.. إنه يستعمل السماعة إذن حتى لا يحمل الجوال في يده..

ذهبت لأبتاع بعض الخضر، فقالت لي البائعة المحجبة:

-"سوف أقضي معك الليلة.. بالتأكيد.."

كنت أعتقد أنني وسيم.. أمي يرحمها الله قالت لي هذا، لكن سحري لا يعمل بهذه السرعة وهذه القوة.. غريب جدًا.. قالت البائعة وهي تزن لي الخضر:

ـ"أنت حلو كقطعة من الحلوى"

ابتسمت في خجل بطريقة من يعرف أن هذا صحيح لكنه يخجل من الاعتراف به، فعادت تقول:

ـ"هات قبلة.."

بدا لي هذا غريبًا جدًا ولحسن الحظ لم أطعها.. ثم سمعتها تقول:

ـ"أنت حبيب ماما.. "

نظرت مدققًا فرأيت أنها تدس الهاتف الجوال تحت طرحة الحجاب وهكذا تتكلم ويداها حرتان.. تكلم ابنها في البيت طبعًا بينما هي تتعامل معي بنصف انتباه.

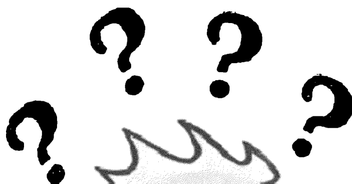
نحن في عالم تنطلق فيه سيارات مجنونة يقودها أشخاص يتكلمون في الجوال، للقاء فتيات يتكلمن في الجوال، ويدهمون مارة يعبرون الطريق شاردين لأنهم يتكلمون في الجوال. ماذا حدث؟.. هل هو غزو فضائي جعل

كل سكان الأرض يتكلمون بهذه الطريقة؟.. ربما هناك كائن فضائي علم الناس استعمال الجوال، وفي اللحظة المناسبة سوف يطلق صرخة معينة تثقب آذان كل هؤلاء فيسقطون موتى..

سوف أظل حيًا لأنني لا أستعمل الجوال إلا نادرًا، لكن ماذا سأفعل في العالم وحدي وقتها؟

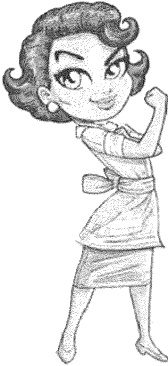
هلاوس عن..

التربية





مِثل حسن



السيدة هدى تؤمن بالكثير من النظريات التربوية الفريدة من نوعها، ومن ضمن هذه النظريات المبهرة نظرية (إذكاء روح المنافسة).

لدى السيدة هدى ولد اسمه (رامي) في الثانية عشرة من عمره، وهو طالب لا بأس به ومهذب إلى حد ما. لم يخنق طفلاً أو يشعل النار في متجر كبير.. لقد صار من الصعب أن تجد مراهقاً لا يفعل ذلك هذه الأيام. ذات يوم جاء إلى البيت مع صديق له اسمه (حسن). مراهق آخر مهذب وخجول كالفتيات.

كان رأي السيدة (هدى) منذ اللحظة الأولى أن (حسن) ولد رائع.. ولد تفخر به أي أم. صحيح أنها لم تره سوى ربع ساعة لكنها قررت أنه نموذج يجب على ابنها أن يقتدي به.

يلعب (رامي) قليلاً فتقول له في عصبية:

ـ"(حسن) لا يضيع وقته في اللعب بهذه الطريقة.. لابد أنه منكب على

كتبه الدراسية الآن"

يجلس (رامي) ليدرس فتعلن الأم أن (حسن) بالتأكيد يكتب فروضه بخط أجمل من هذا الخط..

يسهر رامي حتى الحادية عشرة مساء، فتقول السيدة (هدى) في حسرة:

-"لا شك أن (حسن) نائم منذ ساعة الآن.."

يقول لها (رامي) في تهذيب إنه من المستحيل أن تعرف كل هذا عن (حسن) فهي لم تره سوى ربع ساعة، فتقول في ثقة:

-"هل تعرف؟.. مستحيل أن يكلم (حسن) أمه بهذه الطريقة الوقحة"

هكذا تتحول حياة الصغير (رامي) إلى جحيم.. (حسن) يطارده في كل مكان. (حسن) يحب أكل الكرفس والبقدونس.. بالتأكيد (حسن) لا يضيع وقته في لعب كرة القدم وهذه السخافات.. (حسن) لا يحب مشاهدة المسلسلات في التلفزيون.. (حسن) يستحم مرتين يوميًا ولا ينسى غسل أذنيه..

قلت لرامي إن (حسن) بالتأكيد نموذج ممتاز.. هنا انفجر يطلق الشتائم حتى أصابني الهلع..

عندما اتصل (حسن) بـ (رامي) يقترح عليه أن يزوره انفجر رامي من جديد في سيل من السباب.. الحقيقة أنه لم يعد يتحمل سماع اسم (حسن) بأي

شكل ممكن..

قالت السيدة هدى لابنها في برود:

-"هل ترى؟.. حسن لا يغار من حسن بهذه الطريقة المجنونة!"

عندما جاءت نتيجة اختبار آخر العام وجدنا أن (رامي) حصل على درجة ممتازة فعلاً، لكن السيدة هدى لا تنوي التخلي عن حزمها التربوي، لذا قالت لابنها:

-"بالتأكيد حسن حصل على درجة أعلى!"

هرع إلى الهاتف وطلب صديقه.. سأله في لهفة عن درجته ثم وضع السماعة والتمعت نحكة وحشية على وجهه وصاح:

-"لقد رسب!.. (حسن) قد رسب!"

قالت السيدة هدى:

-"هل رأيت؟.. (حسن) أفضل منك في كل شيء.. يدرك أن الناس تحسد بشدة، لذا يكسر عيونهم بزعم أنه رسب.. لا يذيع خبر تفوقه كالأبله في كل مكان مثلك!"

ما فعلته السيدة هدى بنجاح هو أن رامي قطع علاقته بـ (حسن) نهائيًا.. ظل طيلة حياته لا يفهم المعجزة التي جعلت أمه ترى كل هذه الروعة في حسن وهي لم تره إلا ربع ساعة. بالتأكيد كانت ستزعم له أن (حسن) يطير لولا ما في ذلك من مبالغة..

لكنها كانت مصرة: لابد من خلق جو تنافسي.. لابد أن يشعر الصبي بعدم الراحة طيلة الوقت وأن هناك من يسبقه بخطوة.

رامي الآن في الثامنة عشرة من عمره، وهو يتقدم جدًا في العلاج النفسي والحمد لله.. لم يعد يبكي ويعض أنامله ويتكور جوار الجدار كلما جاء ضيوف للبيت.. وقد قال الطبيب النفسي:

-"إنه يعاني درجة متقدمة من انعدام الثقة بالنفس.. يجب ألا تطالبوه بما ليس في وسعه وأن تكفوا عن مقارنته برفاقه"

أطاعت السيدة هدى الأوامر حرفيًا.. إن قلبها يمزقها من أجل ابنها، وقد قالت له:

-"بالتأكيد (حسن) لا يعاني أمراضًا نفسية ولم يفقد ثقته بنفسه.. حقًا لا أفهم كيف يفقد إنسان عاقل ثقته بنفسه؟.. لابد أنه منحط وضيع "

عرفت أخبار (حسن) الأخيرة.. لقد رسب في المدرسة عدة مرات ثم وقع في قبضة الإدمان، وهو يعالج في إحدى المصحات.. كما أنه ضبط في متجر كبير يحاول السرقة. أخبرت السيدة هدى بهذه الأخبار فقالت في ثقة:

-"لكنه سوف ينهض على قدميه ويكافح وينجح.. صدقني.. لو كان (رامي) مثل (حسن) لانتهت متاعبي كلها.."

لا تنس



في كتاب أمريكي ساخر كان البطل كلما طلبت منه أمه عملاً ما، يقوم بتذكير نفسه بطريقة بسيطة. يقول البطل إن كتابة وريقات صغيرة يكتب عليها المطلوب منه عمله تكلف ورقًا وجهدًا لا داعي لهما، لذا طريقته بسيطة جدًا.. كلما طلبت منه أمه شيئًا ألقى بوسادة من على فراشه في أحد أركان الغرفة. في الصباح ينهض من النوم فيتساءل عن سبب وجود هذه الوسادة هنا.. ثم يتذكر ما طلبته أمه ليلاً وينفذه. ذات مرة نزع جوربيه المتعفنين ووضعهما على جهاز التلفزيون حتى يتذكر شراء أشياء طلبها أبوه.. تخلص أبوه من الجوربين فورًا، وكانت النتيجة أنه لم يقم بما هو مفترض منه.. يرى البطل أن من يستحق

اللوم هو أبوه الذي تخلص من الجوربين...

هنا يبلغ ذهولي أقصى درجة له، لأن هذه كانت طريقتي بالضبط في تذكر الأشياء. من أخبر هؤلاء الغربيين بأدق أسرار طفولتي؟. في أيام المدرسة كنت أقذف قلمًا أو كتابًا في ركن الغرفة.. وفي الصباح أجده فأتساءل عن سبب إلقائي به هناك من ثم أتذكر المطلوب مني..

جربت طريقة الورق كثيرًا فيما بعد.. لكن هنك مشكلة دائمة هي أن الورقة تضيع عندما تريدها.. المشكلة الأخرى هي أن خطي لا يُقرأ.. وعلى الأرجح أعجز عن قراءة أي شيء كتبته بعد نصف ساعة من كتابته. ثم إنني أكتب رموزًا يستحيل فهمها.. ذات مرة قضيت ساعات أحاول فهم عبارة (احضر المرأة) ثم تبين أنني أذكر نفسي بأن أجلب المرآة التي أرسلتها لتركيب إطار لها..

أما عن قصاصات الورق الصغيرة التي تلتصق، والتي يثبتونها على شاشة الكمبيوتر أو مرآة الحمام فلتنسها.. إنها تسقط دائمًا من تلقاء نفسها وفي أسخف الأوقات طرًا... ثم تلتصق بقدم ابنك الحافية فيقرأ ما فيها ليعرف أدق أسرارك..

هناك طريقة أن تبرمج الهاتف المحمول ليذكرك، لكنك تنسى أن

الشحن الكهربي ينتهي دائمًا في الوقت غير المناسب. عندما تضبط الهاتف المحمول ليذكرك بموعد الطائرة فأنت تنتحر لأنه لن يدق أبدًا.. وبالطبع لا تطالبني بتعليق ورقة تذكرني بشحن الهاتف المحمول.. الحياة لا تحتمل هذا التعقيد..

هكذا تظل طريقة إلقاء الوسادة من أكفأ الطرق..

في أيام الدراسة كانت هناك طريقة فعالة جدًا؛ هي أن أضع لونًا على القانون الرياضي الذي أريد أن أتذكره. المشكلة هي أنني كنت أستعمل اللون الأسود لهذا الغرض!.. وقد راقبني معلم الرياضيات وأنا أراجع بعض الصفحات في الكتاب، فتساءل في حيرة:

-"ما هو القانون الرياضي الذي قمت بحذفه؟.. لم نحذف أية قوانين رياضية لهذا العام"

قلت له في بساطة:

-"بل قمت بشطبه باللون الأسود لأتذكره!"

عاد يكرر العبارة محاولاً فهمها:

-"إذن أنت قمت بشطب هذا القانون بالقلم الأسود السميك حتى لا تنساه!"

قلت في كبرياء:

-"نعم"

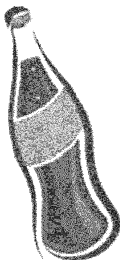
لو كان علي أن أقنع كل واحد أني لست مجنونًا كما يحسبون فلن يصير لدي وقت لأي شيء آخر. أنا اذكر القانون لكني أنسى استعماله.. لكن بهذه الطريقة صارت هناك لطخة سوداء لا يمكن نسيانها أبدًا...

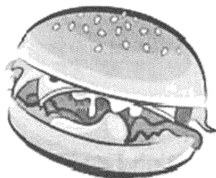
طبعًا هذه الطريقة غريبة، لكنها ليست أغرب من طريقة تمزيق الصفحة المهمة في الكتاب.. وهي طريقة فعالة جدًا. عندما أجد أنه لا يوجد شيء بين صفحتي 120 و130 فأنا أتذكر على الفور ما كان يحويه الجزء المحذوف..

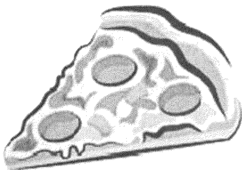
هناك كذلك طريقة ممتازة وبسيطة جدًا: أن تتذكر ما هو مطلوب منك. لكن القليلين جدًا من سعداء الحظ هم من يقدرون على تطبيق هذه الطريقة الممتازة. أنا لست منهم بالتأكيد ولا أحسبني سأكون منهم أبدًا.

هلاوس ..

غذائية وطبية







جريمة اللحم



يعرف أبناء الطبقة الوسطى مثلي ذلك الشعور بالذنب الذي ينتابهم تجاه اللحم والمانجو.. لا أعرف منذ متى كان اللحم رخيص الثمن في متناول الجميع.. يبدو أن هذا حدث في عالم افتراضي مثالي لا أعرفه، وربما في بلدان مثل الأرجنتين حيث الثروة الحيوانية ضخمة جدًا، لكن ما أعرفه هو أن اللحم كان دومًا مشكلة، حتى في مذكرات طه حسين (الأيام) نجد ذات الشعور بالذنب لدى طلاب الأزهر الفقراء في أوائل القرن العشرين.. لم يكن اللحم رخيصًا في أي حقبة من الزمن، وعندما كان ثمن الرطل مليمًا كان راتب الموظف عشرين قرشًا على ما يبدو.

العبقري الساخر محمد عفيفي ناقش بإسهاب علاقة المانجو بالطبقة المتوسطة. الرجل من الطبقة المتوسطة يستطيع شراء أفخم نوع من المانجو.. لكن هذا معناه نقص قطع اللحم على نفس المائدة.. هكذا يقضي الرجل حياته يشتهي المانجو ولا يجرؤ على أشباع شهيته منها بشكل كامل.. هناك دومًا ذلك الشعور بالذنب، وأعتقد أن الهنود هم الذين انتحروا على هذا الشعور بالذنب لأن المانجو عندهم ينمو من بلاط الأرضيات وأسفلت الطرقات..

كلام محمد عفيفي ينطبق بشدة على اللحم. ولهذا يستحيل أن تجد رجلاً من الطبقة المتوسطة يأكل اللحم بضمير صاف ولا يشعر بالذنب. لي قريب من أعيان الريف الأثرياء، حكت لي ابنته أنهم كانوا يطهون له كيلوجرامين من اللحم ويضعونهما في طبق في غرفته ليلتهم شريحة كلما أراد.. هذا ترف لا يناله إلا أثرياء الريف لكنه مستحيل بالنسبة لأبناء الطبقة الوسطى، وبرغم أنهم قادرون على ذلك، لكنه الشعور بالذنب الذي ورثوه من الآباء.. اللحم نوع من الخطيئة في كل الأحوال..

احتفظت بهذه الخواطر إلى أن كبرت وصرت طبيبًا.. افتتحت عيادة مشتركة مع صديق لي، وبما أنها عيادة حديثة لا يعرفها أحد فقد

قضينا سنة سوداء.. لم يكن هناك قط ضال يجرؤ على دخول العيادة.. وكان هناك مطعم كباب في نفس البناية تتصاعد منه الروائح الزكية طيلة اليوم.. تتصاعد إلى أن يأتي المساء ولا نستطيع أن نصمد أكثر، هكذا نعود لديارنا لنتناول العشاء..

أذكر ذلك اليوم الذي انصرفنا فيه بعد يوم حافل من عدم العمل.. يوم من الجلوس والثرثرة والقراءة وشرب الشاي.. لا مرضى..

هنا شممنا تلك الرائحة الشهية تزكم أنوفنا.. رائحة الكباب الشهي، وقد سال الدهن الضأن ليغرق الفحم المشتعل، ويتصاعد للسماء في صورة دخان دسم شيطاني الإغراء.

قال لي صاحبي وقد سال لعابه:

-"يمكن أن نتناول العشاء هنا.. "

قلت له في غيظ:

-"بالطبع لا.. نحن لم نفحص أي مريض اليوم.. إذن حرام عليك"

قال متوسلاً:

-"لكننا لسنا مفلسين.. بالواقع معنا ما يكفي ست وجبات كهذه..

سوف أدعوك للعشاء"

قلت في إصرار:

-"أنت تفتقر للحساسية والضمير.. يوم كامل لم نر فيه مريضًا واحدًا، ولم يدخل جيبنا مليم، وبرغم هذا تريد أن تكافئ نفسك بوجبة من الكباب.. ألا تستحي؟.. ألا تخجل؟"

قال لي بلهجة أقرب للبكاء:

-"لا تقل لي إن هذا مستحيل. نحن طبيبان وبالتأكيد يمكننا شراء ربع كيلو من الكباب لكل منا"

-"بل هو مستحيل فعلاً...الأمر لا يتعلق بالقدرة الشرائية، بل يتعلق بحاجتنا الشديدة إلى عقاب النفس.. يجب أن تشعر بالحرمان والجوع لأنك لم تكسب مليمًا..هذا يبدو لي أخلاقيًا.. "

-"لكني جائع.."

-"بل أنت مائع"

وجررته جرًا مبتعدين، وكان علي أن أشرح له ما شرحته لك في أول المقال.. اللحم خيار أخلاقي بالنسبة للطبقة الوسطى، وهو خيار ليس سهلاً.

عـدنا لـديارنا.. لا أعـرف مـا حـدث بالـضبط لكـني توقفـت عنـد المدخل.. نظرت حولي.. استقللت سيارة أجرة إلى عنوان معين.

عندما دخلت المطعم والرائحة الزكيـة تمـلأ أنفـي، فوجئـت بـذلك الوغد الخائن صديقي وهـو جـالس في ركـن القاعـة يلـتهم الكبـاب.. يفـرغ جرعة من المياه الغازية في جوفه ثم يملأ فمه بالمزيد مـن اللحـم، والـدموع توشك على أن تسيل من عينيه تأثرًا.. لما رآني أوشك على الموت اختناقًا..

جذبت مقعدًا وجلست أمامه وقلت لائمًا:

-"لم تعد لبيتك.. تسللت لتأتي هنا وترتكب هذه الرذيلة"

-"لكنك أنت أيضًا..."

مددت يدي والتهمت إصبعًا من الكفتة من طبقه، وقلت بفم مليء:

-"أنا وأنت لا نتحلى بأخلاق الطبقة الوسـطى وغـير جـديرين بـأن نكون منها.. جميل أن تشعر بالذنب عندما تمارس الجريمة لكن الأهم ألا ترتكبها.."

ثم نظرت لطبقه مدققًا وقلت:

-"هل تريد رأيي؟.. أرى أن ثلث كيلوجرام كـثير جـدًا.. أكثـر مـن

اللازم.. أقترح أن نقتسم هذا الطبق في الأكل والحساب.. هذا سيبقي الشعور بالذنب ملتهبًا لدينا!"

الوجبة



هناك قصة ممتعة عن جحا وابنه عندما أنذره من أن يضيع المال وهو عائد من السوق. أنذره ثم صفعه على وجهه بقوة.. لما تساءل الناس: لماذا تصفعه وهو لم يضيع المال بعد؟.. قال لهم: لو صفعته بعد ضياع المال فلن استفيد شيئًا، أما بهذه الطريقة فهو لن يضيع المال أبدًا لأنه جرب ألم الصفعة. منطق ممتاز وأنا أجده معقولاً جدًا..

عرف الأستاذ عفيفي صحة هذه القصة فيما بعد. كان يحب سمك الثعبان جدًا، وبالطبع لا يجده بسهولة في المتاجر. ثم أنه وجده يباع في محل أسماك فابتاع منه كمية.

هكذا جلب السمك لزوجته السيدة (رتيبة)، وطلب منها أن تعده في صينية مع البطاطس. كان كمن يجلب لزوجته صينية من الزمرد والعقيق.. لابد أن ماجلان لم يتعامل مع التوابل والفلفل بهذا الحرص..

منذ هذه اللحظة بدأت معاناته.. معاناة الأستاذ عفيفي وليس ماجلان طبعًا. يعرف جيدًا أنها ستحرق الصينية.. لا يمكن للمرء أن يكون حذرًا أكثر مما يجب وهو يعرف أن الناس جميعًا حمقى... ذهب لزوجته وأنذرها من حرق السمك.. قالت له في غيظ إنها لا تحرق الطعام، فقال إن هذا سيحدث اليوم.

عاد يقرأ الجريدة.. ثم وجد أنه متوتر ولا يركز فيما يقرأ، فنزل إلى الشارع... عندما جلس في المقهى خطر له أنها سوف تعد أرزًا أحمر بدلاً من الأبيض.. سوف تقول له إذا اعترض: ألم تشترط أنت أن يكون الأرز أحمر؟.. وسوف يجن وهو يقسم أنه لم يقل هذا.. اتصل بها وقال بصوت سمعه المقهى كله:

-"الأرز أبيض يا حمقاء!!.. هل فهمت؟"

راح يقرأ الجريدة من جديد، ثم تذكر أنها بالتأكيد سوف تتخلص من قطع السمك التي تجدها دهنية أكثر من اللازم.. هذه المجنونة!

جرى إلى البيت يقتحمه وصاح في زوجته:

ـ"لا تلقي بالدهن.. دهن السمك يحوي مادة أوميجا 3 وهو مفيد!"

نظرت له في دهشة وأكدت أنها لم تتخلص من دهن السمك قط من قبل..

كان متوترًا.. سوف تفسد كل شيء ولن يستطيع عمل أي شيء، ولسوف يلتهم نفسه من الغيظ.. تلك البلهاء.. تلك البلهاء التي تملك عقل دجاجة..

مع الوقت شعر بأنه يكرهها بجنون وبأنه لا يطيقها، وبدأ يفكر جديًا في أن يستل السكين ويقتلها.. لا.. سوف يشنق بلا سبب ولن يقتنع أحد بالمبررات.. فكر في أن يطلقها، لكن هذا يعني أنه لن يتناول وجبته المفضلة..

هكذا جلس في الصالة يتلوى من العذاب والقلق، وراح يدعو عليها ويتلو أدعية الرحمة على أمه التي كانت تؤمن أن زوجته بلهاء لا خير فيها.

عندما جاء الطعام أخيرًا نسي كل هذا.. لقد كانت طبخة موفقة فعلاً، وهكذا ظل يلتهم السمك حتى شعر بأنه موشك على الاختناق..

في اليوم الثاني ذهب للعمل. اتصل به عميل الشركة من اليابان يطلب صورة من أحد العقود، فقام يرسله له على الفاكس..

خطر له أن ذلك الأحمق سوف يصله الفاكس، وسوف يزعم أنه لم يستطع قراءته لأنه غير واضح.. شعر بدمه يغلي من الغيظ..

في النهاية اتصل بالعميل في اليابان، وعندما رفع سماعة الهاتف صاح فيه:

ـ"الفاكس واضح أيها الكذاب فلا تزعم العكس!"

ثم وضع السماعة راضيًا..

ترى لماذا يتصرف الناس بحماقة؟.. لماذا يخذلونه؟.. لكنه لهم بالمرصاد..

رجيم الأقراص



افتتان بعض الأطباء بالعقاقير يفوق الوصف، وقد يبلغ هذا الافتتان درجات غير مسبوقة.. عرفت الأطباء الذين يملئون وجه تذكرة العلاج وظهرها بالأدوية.. ولعلك تجد بين الأدوية التي كتبوها ما يسبب الإسهال وما يسبب الإمساك، وما يزيد السعال وما يوقفه.. الفكرة هنا أن المرض المسكين – أتكلم عن المرض لا المريض - يجد نفسه في ورطة.. يفلت من هذا العلاج ليهوي فوقه هذا العلاج.. لا توجد فرصة للفشل لأنك تصنع بفسيولوجيا المريض كل شيء ممكن.. لابد أن يحدث شيء ما..

أما عن الأعراض الجانبية فهي ملح الأرض ومذاق الحياة.. يعرف الأطباء أن الدواء الذي ليست له أعراض جانبية هو دواء بلا تأثير أصلاً. وعدونا بمضاد الحساسية الذي لا يسبب خمولاً للمريض، لكن الأطباء جربوه وعرفوا أنه لا يسبب الخمول ولا يشفي الحساسية!.. وعدونا بمضاد

الالتهاب الذي لا يتعب المعدة، لكن الأطباء تعلموا أنه لا يتعب المعدة ولا يعالج الالتهابات.

هكذا يتعاطى المريض خمسين صنفًا من الدواء، وبالطبع يصير أقرب إلى جثة حية من فرط الأعراض الجانبية والإرهاق، ثم يتوقف هذا كله فيشعر بأنه في صحة رائعة وأنه بحال ممتازة ويطري براعة الطبيب!

هذا عن الأدوية التي يكتبها الطبيب وسوف أفترض هنا أن الطبيب يعرف ما يفعله، لكن المشكلة الحقيقية تبدأ مع المرضى الذين يحبون الأدوية..

إن للأدوية فتنة خاصة، والناس تعشقها.. كم من مرة تشاجر هذا المريض أو ذاك مع الطبيب لأنه يرغب في أن يكتب له المزيد من الفيتامين، برغم أن الفيتامين لا لزوم له إلا في حالات نادرة. وقد قال عالم أمريكي إن أعلى تركيز للفيتامينات موجود في شبكة مجاري المدينة لأن أجسامنا تتخلص منها غالبًا باعتبارها زائدة!. كان هناك ولع جنوني لدى المرضى بالأسبيرين في وقت ما وقد قرأت مقالاً في مجلة أمريكية عنوانه (لا تكن جحشًا بسبب الأسبيرين!). والسبب هو أن الناس تنفق الملايين على مشتقات الأسبيرين بأسماء مختلفة..

قلت هذا كله لإبراهيم صديقي لكنه لم يصدق حرفًا كالعادة..

إبراهيم يفترض دائمًا أنني أحمق أو مغرض ولهذا لا يصدق حرفًا من كلامي. كان إبراهيم من هواة الأدوية فعلاً.. وقد راقبته وهو يأخذ أدوية مضادة للتأكسد (لأن الأطباء يرون أنها مهمة) وأدوية تنشط الكبد (لأن هذا يؤثر في المزاج) وأسبيرين لسيولة الدم، ومشتقات عشب كذا الصيني لتحسين حالة الكبد، ومشتقات نبات كذا لتحسين حالة المخ.. هو كذلك لا يترك الطب الطبيعي في حاله. لابد من كوب من منقوع الأعشاب وفصين من الثوم مع ملعقة عسل أبيض على الريق. لا بأس بكوب من اليوجورت (الزبادي) عليه ملعقة من (الردة)..

سألته في غيظ عن المرض الذي يعالجه بكل هذا، فقال بوضوح إنه يتعاطى هذا كله كي لا يصاب بالمرض الذي أسأل عنه، وهو بالتالي لا يعرفه!..

ذات مرة دعاني إلى الغداء، وقبل أن يضع لقمة في فمه ملأ قبضته بأنواع شتى من الأقراص من عدة علب ثم ابتلعها مرة واحدة..

قلت له في حيرة:

-لا أعرف ما تعتقده لكنني أشك في أن يكون هذا المشهد فسيولوجيًا..

ولا يوجد جسد بشري يتحمل كل هذا الذي حشرته فيه في لحظة!"

على أنني أعتقد أن الأمر ليس مجرد انبهار بالأدوية فقط، بل هو كذلك لا يخلو من حب المرض الذي تكلمت عنه من قبل. كثير من الناس يحبون الشعور بالمرض والرثاء للنفس.. ابتلاع كل هذه الأدوية يعطيه لذة لا شك فيها، ويشعره بأنه شهيد..

على أن إبراهيم شفي من هذه العادة لسبب بسيط: كان يزداد وزنًا بلا توقف وفشلت كل محاولاته لإنقاص الوزن. هنا اقترحت أن يكون سبب سمنته هو (وجبة الأقراص) هذه التي يتناولها مع كل وجبة!.. اقترحت عليه أن يقلل عدد الأدوية التي يبتلعها على سبيل الرجيم..

جرب طريقتي فكانت النتيجة مبهرة.. صار يبتلع 20 قرصًا في اليوم بدلاً من الـ 76 قرصًا التي كان يبتلعها. وانخفض وزنه خمسة كيلوجرامات كاملة..

شكرني كثيرًا على هذه النصيحة الثمينة، فقلت له أن يشكر شركات الأدوية التي تنتج عقارات لا قيمة لها يمكن الاستغناء عنها دومًا. هكذا يوجد علاج جديد شديد الفعالية اسمه الاستغناء عن العلاج!

دليل المرض



أكتب هذه السطور وحرارتي تقترب من الأربعين بسبب نزلة شعبية حادة... أنت تعرف هذه الأجواء عندما تبدو الإضاءة أضعف.. وتبدو الأرض أعلى.. وتبدو الألوان أقرب للأصفر.. وتبدو معدتك كأنها وكر ثعابين... أنتهز هذه الفرصة الثمينة لأخبرك ببعض خبراتي مع المرض، منحك الله الصحة والعافية:

1- كل الأدوية لا جدوى منها. هي إما مصنوعة من الجبس أو الدقيق..

2- لا أحد يرد على الهاتف الجوال، خاصة عندما توشك على الموت اختناقًا وتطلب طبيبًا صديقًا.

3- ما رأيته منذ دقائق لم يحدث.. أنت كنت تهلوس بسبب ارتفاع الحرارة.

4- الإضاءة ليست حمراء... صدقني..

5- المسافة إلى الحمام طويلة جدًا وتحتاج إلى لياقة غير عادية كي تقطعها.

6- ليس هناك زلزال.. أنت ترتجف بقوة لا أكثر فترج الغرفة كلها.

7- عندما تشرب الماء وتشعر بأنه مر فليس السبب هو أن الوساد يدس لك السم. وعندما يلمس الماء جدار معدتك فتشعر كأن بركانًا اشتعل هناك، فليس السبب هو المخابرات المركزية الأمريكية.

8- هذا حساء خضر عادي.. ليس حساء يورانيوم أو راديوم. إن الخضر أرخص من اليورانيوم بكثير. حتى لو كانت بطنك تتقلص وتتمزق كلما رشفت رشفة.

9- عندما تنام وترى نفسك تفتتح ناديًا للقتال يمكن للراغبين في الشجار أن يذهبوا له ليتشاجروا.. يجب أن تعرف أن هذا ليس حلمًا ولم يحدث لك.. إنه فيلم (نادي القتال) لا أكثر.

10- النهار ما زال بعيدًا جدًا جدًا جدًا.

11- كاسترو لم يأت للاطمئنان عليك عصر اليوم.. أنت تهلوس.. وبالتأكيد لم يأت بعده غاندي ليزورك ووجدك نائمًا فانصرف... صدقني.

12- كل الأدوية لا جدوى منها.

13- زوجتك هي ضمانك الوحيد للتمسك بالحياة.. يجب أن تقبل هذه الحقيقة وتتأقلم معها.

14- الهواء ليس باهظ الثمن ولم يفرضوا عليه ضرائب أو يمنعوه... كل ما هناك هو أن شعبك الضيقة لا تسمح بدخوله هناك. إن الهواء شخص غير مرغوب فيه يقف حائرًا أمام موظف الجوازات في مطار رئتيك.

15- أنت لم تصر زيوس أو بايرو – بطل قصص (إكس من) – لتطلق صواعق النار من عينيك.. ما تشعر به من شرر ينطلق منهما هو شعور لا أكثر، لكن هذا الشرر لن يحرق أحدًا.

16- أنت لم تصب ببله مغولي أو تفقد قدرتك على الكتابة.. كل ما هناك هو أن المرض يسبب ارتباكًا في... في.... نسيت ما كنت أريد قوله..

17- كل الأدوية لا جدوى منها.

18- ويبدو أنني أكرر ما قلته من قبل لأنني نسيت أنني قلته.

19- الترمومتر ليس تالفًا، ولم يقم مجنون ما بوضعه في كوب شاي ساخن قبل أن تستعمله.. هذه درجة حرارتك فعلاً.

20- لم يسكب أحد دلوًا من الماء على الفراش.. هذا هو العرق الذي سال منك في ساعة، وتقول زوجتك إنها علامة على قرب الشفاء..

هذه هي النصائح التي أستطيع تذكرها حتى هذه اللحظة، ولسوف أواليك بالمزيد لو أنني ظللت حيًا في الحلقات القادمة.

نـــم!!



كل شيء يطلبه الأطباء عسير ومرهق، وأنا أقول هذا لأنني طبيب.. لم أجرب قط صعوبة الأمور التي أطلبها من المرضى ببساطة وسلاسة. مثلاً كم من مرة طلبت من مريض أن يقلع عن التدخين، أو يكف عن القلق، أو يجري تحليلاً مخبريًا معينًا، أو يقوم بتركيب قسطرة بولية. عندما أصير أنا المريض أكتشف أن هذه الطلبات عسيرة وشبه مستحيلة.

أرغمت مؤخرًا على قضاء فترة في العناية الفائقة بأحد المستشفيات، وكان طلب الأطباء واضحًا:

ـ"استرخ!.. نم"

هكذا رقدت في الفراش مفتوح العينين أحاول النوم، لكن هذا مستحيل.

كان هناك شخص يئن في مكان ما عاجزًا عن التنفس، وكلما أصغيت لـه شعرت أنا نفسي بأنني أختنق..

أخيرًا داعب النوم جفني.. وبدأ ذلك الخدر اللذيذ يسري في كياني. لم أعد هنا.. صرت هناك. فجأة شعرت بيد عنيفـة تهزنـي مـرارًا.. هـل هـي يـد الموت؟.. هل الموت يهز ضحاياه لحظة النهاية؟.. فتحت عـيني لأجـد ممرضـة قوية البنية تهزني بقوة:

-"لقد وصف لك الطبيب قرصًا منومًا!"

هكذا ابتلعت القرص وأغمضت عيني من جديد..

هنا شعرت بمصاص دماء يغرس أنيابه في ذراعي ويمتص دمي بـنـهم..

فتحت عيني مذعورًا، لأجد ممرضة عصبية تغرس محقنًا في ذراعي وتقول:

-"طلب منا الطبيب هذه العينة.."

ولماذا يجب أن تؤخذ وأنا نائم؟.. لا أعرف عينـة تؤخـذ والمـريض نـائم سوى عينة تشخيص مرض الفيل. على كل حال بدأ القـرص المنـوم يعمـل وثقـل جفناي فعلاً..

هنا شعرت بمن يهزني بقوة:

-"جرعة دواء الفجر... خذها ونم"

ابتلعت الدواء شاكرًا وعدت للنوم، عندما سمعت من يصرخ مناديا اسمي بقوة.. فتحت عيني بصعوبة لأجد ممرضة تدس كبسولة بين شفتي:

-"هذا هو الدواء المنوم.. سوف تحظى بنوم هادئ"

قلت لها وأنا ابتلع القرص:

-"لكني كنت أحظى بنوم هادئ فعلاً"

قالت بلهجة عملية شأن من لا وقت لديه لهذا السخف:

-"هذه هي تعليماتي... إذا لم ترد أخذ هذا القرص فالرجا أن تخبر الطبيب بذلك.."

بدأت أغمض عيني ثانية. وهنا رأيت من وراء الستار أن الشمس قد أشرقت وأن العالم كله قد استيقظ.. وبدأت أسمع أصوات الجلبة بالخارج..

أغمضت عيني لأسمع من يهتف:

-"يا لك من كسول!.. كل هذا النوم ولم تشبع بعد!"

كان هناك حشد من أصدقائي جاءوا ليحيوني... رحت أشكرهم وأتبادل الحديث معهم. ومن حين لآخر يسقط رأسي وأبدأ في الغطيط.. في النهاية عرفت أنهم انسحبوا دامعين واحدًا تلو الآخر، وقالوا لبعضهم في الخارج:

-"إنه مريض ومنهك جدًا.. لا يستطيع استكمال جملة واحدة.. واضح أن هذه هي المرة الأخيرة"

وسمع من لم يسمعوا هذا الخبر فجاءوا لوداعي.. وهكذا رحت أغمض عيني لربع ثانية، فقط كي أفتحهما لدى قدوم زوار جدد..

وعند العصر قلت الحركة نوعًا فأغمضت عيني.. هنا شعرت بمن يهزني بقوة:

-"موعد الدواء المنوم..!"

عندما جاء المساء أغمضت عيني، وهنا سمعت من يضحك:

-"إذن أنت نائم والكل قلق عليك"

كان هذا هو الطبيب المعالج.. وقد جاء ليطمئن علي...

بعد رحيله دست الممرضة بعض الأقراص في فمي، وجاءت أخرى تغرس المحقن في ذراعي، ثم جاء عامل النظافة ليمسح المكان...

عند الفجر جمعت حاجياتي وارتديت ثيابي، وطلبت من يأتي ليقلني إلى البيت.. سألتني الممرضة في جزع عن وجهتي، فقلت لها: البيت.. البيت..

قالت محتجة إن حالتي خطيرة، فقلت لها إن ما أفعله هو السبيل الوحيد لأنقذ حياتي.. بقائي هنا هو نهايتي...

نعم.. أعترف أن مهنة الطبيب صعبة، لكن أصعب منها بمراحل مهنة المريض.. إنها تضعك تحت طائلة الموت بالمعنى الحرفي للكلمة.

سعرات



استطعت أن أرى نهاية العصر الذي كان يعتبر البدانة علامة مؤكدة على الصحة، وأذكر أن خالتي كانت تحكي لي عن انبهارها الشديد بصبي بدين، وجدته جالسًا ينتظر الحافلة فقرر ألا يضيع وقته و(نسف) ثلاث شطائر أخرجها من كيس ورقي معه. كانت ترى هذه قمة الانتفاع بالوقت.. ويبدو أنني تعلمت منها أن البدانة شيء رائع، إلى أن اصطدمت في المدرسة الابتدائية بحقيقتين: 1- البدانة شيء كريه... 2- أنا بدين جدًا.. جدًا..

ومنذ ذلك الوقت تحولت حياتي لمشكلة ضميرية وسلسلة من لوم النفس. دائمًا أنت تحب الطعام ودائمًا تشعر بتأنيب الضمير وأنت تكتشف في المرآة أنك تحولت إلى دب. لقد استطاع الأطباء أن يخترعوا السرطان

ويخترعوا البدانة وهما مرضان لم يكن لهما وجود في السابق.. هل سمعت عن أي شخص اصيب بالسرطان أيام الدولة العباسية؟. لقد صارت النحافة مشكلة وقضية العصر، وصار منظر موديل الإعلان بجسده المشوق وبطنه المزدحم بالعضلات هو الصورة المثلى للذكر. وعلى البؤساء اصحاب الكرش الذين لا يقدرون على رؤية أقدامهم أبدًا، أن ينتحروا أو يموتوا..

الفكرة هي أنها لعبة غير عادلة. لي صديق التهم أمامي ثلاث قطع من الشيكولاته ثم قضيبين من الحلوى، بعد هذا أكل آيس كريم ثم التهم كيسًا من البطاطس المقلية، وبعدها راح يشفط العصير من علبة معدنية، حتى شعرت بالغثيان.. أقسم بالله أن هذا حدث فعلاً.. ثم تكتشف أن وزن هذا الصديق أقل من اللازم. هناك كذلك أفراد لديهم قدرة فائقة على فقدان الوزن متى أرادوا. عرفت من يفقدون عشرين كيلوجرامًا في شهر واحد معتمدين على الإرادة وحدها.. وتقابلهم فتجدهم يشبهون سحالي الإجوانا بسبب الجلد المتهدل تحت ذقونهم، لكنهم يسترجعون أوزانهم بسرعة البرق.. خلال أسبوع تجدهم قد استردوا ما فقدوه...

يقول خبراء التغذية إن تقليل الطعام بالتدريج مع الرياضة مهمان جدًا. لهذا قررت أن أمارس بعض الرياضة. اشتريت دراجة ثابتة ورحت أبدل عليها.. أبدل.. حتى لم أعد أشعر بساقي وشعرت بأنني تحولت إلى

قلم رصاص..في النهاية اكتشفت أنني أحرقت ثلاثين سعرًا فقط. أي إنه كان بوسعي تحقيق هذا وأنا مستريح لو استغنيت عن ملعقة سكر واحدة!

لا توجد طريقة لفقد الوزن أبدًا.. لا توجد طريقة لحرق السعرات أبدًا.. الزيادة دائمًا أكثر من الخسارة.. لو انك تسلقت جبال الهملايا فلسوف تجد أنك لم تحرق السعرات الموجودة في طبق أرز.. إن ساعة من رياضة الاسكواش تحرق 600 سعر، وهو ما تستطيع مئة جرام من الآيس كريم مع بعض الجلاش أن تنسفه نسفًا..

هناك أكلات قليلة السعرات.. يمكنك الاكتفاء بأكل الزعتر الفارسي والكباد والتشباتي والجبن الحلوم.. ويا سلام لو أضفت لها الشمندر والجيكو .. لكن هل تعرف معنى هذه الأكلات حقًا؟.. هناك احتمال لا بأس به أن تتلقى الشتائم لو ذهبت للسوبر ماركت باحثًا عن جيكو.

نعم.. يبدو أن النحول والبدانة لعبة شطرنج خاصة بين هرموني الانسولين واللبتين، ونحن ضحايا معدومو الحيلة نقف بينهما. ويومًا ما عندما يصل العلم إلى ما وصلت له أنا، سيقررون أن الحمية لا تفيد.. وأن العلاج بالهرمونات هو الحل الوحيد.. وسيكتشفون أن الرياضة بأنواعها مضرة وعمل غير إنساني..

•

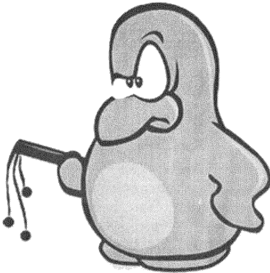
حتى ذلك الحين السعيد أقوم بحرق ما أستطيع بطريقتي.. مثلاً اكتشفت أن النوم يحرق سبعين سعرًا في الساعة.. إذن نوم 10 ساعات يحرق 700 سعر.. الجلوس بلا عمل أي شيء يحرق مئة سعر في الساعة، لذا أحاول الجلوس 4 ساعات متواصلة يوميا ويا حبذا لو أضفت لهذا مشاهدة التلفزيون، فهناك خبير قال إن هناك من يفقدون الوزن بسبب مجهود عضلات العينين!.. سوف أجلب كيسًا من السوداني كي أضيف جهد المضغ إلى ما سبق..

هذا هو ما استطيع عمله إلى أن يخترع هؤلاء الحمقى حبوبًا حقيقية لفقدان الوزن.. يومها أعدك بأن أشتريها لو أنني ظللت حيًا أو ظللت قادرًا على اجتياز باب الغرفة!

مترجمة



المديران



أكـره ألا أنقـل لـك هذه الملاحظات الذكية التي وصـــلتني في خطـــاب الكتروني. أنـت تعـرف أن معظم ما يصلك من خطابات عبر شبكة الإنترنـت كـلام فارغ؛ لكن هنـاك نـسبة لا بأس بها (تقل عن 5٪) تستحق أن تقرأها وتحتفظ بها وتقدمها للآخرين.

هذا الخطاب يناقش الفارق بين المدير الغربي والمدير العربي. لا أعرف من البائس الذي كتب هذه الكلمات، فإما أنه مصاب بحالة متقدمة من (عقدة الخواجة) وإما أن مديره العربي هو هتلر أو جنكيز خان شخصيًا. عليك أن تقرأ هذه السطور في وقت لا يكون فيه مديرك واقفًا خلفك يتابع ما تقرؤه:

– المدير الغربي: يهنئك بالعيد – المدير العربي: يطلب منك العمل

في العيد

- المدير الغربي: يقول لك "صباح الخير" - المدير العربي: يقول لك " أنت جيت؟"

- المدير الغربي: يسعى لتثبيت قدم الشركة - المدير العربي: يسعى لتثبيت قدمه في الشركة.

- المدير الغربي: يبدأ كلامه بجملة " أنا أعتقد" - المدير العربي: يبدأ كلامه بجملة " أنا قررت "

- المدير الغربي: يرقيك إذا تفانيت في العمل - المدير العربي: يرقيك إذا تفانيت في مدحه

- المدير الغربي: يضع لك خطة تتناسب مع قدراتك - المدير العربي: يضع لك خطة تتناسب مع خيالــــه

- المدير الغربي: يثق فيك - المدير العربي: يثق في نفسه

- المدير الغربي: مسموح لك أن تشكوه - المدير العربي: مسموح لك أن تمدحه

- المدير الغربي: يناقشك إذا طلبت الاستقالة - المدير العربي: يدفعك إلى الاستقالة

- المدير الغربي: يعاملك حسب حالتك النفسية - المدير العربي: يعاملك حسب حالته المزاجية

- المدير الغربي: يفضل أن يمدحك أمام الآخرين - المدير العربي: يفضل أن تمدحه أمام الآخرين

- المدير الغربي: يوم حلو... يوم مر - المدير العربي: يوم مر... يوم أمر!

- المدير الغربي: يراقبك - المدير العربي: يتجسس عليك

- المدير الغربي: يطور أفكارك وينسبها لك - المدير العربي: يسرق أفكارك وينسبها لنفسه

- المدير الغربي: تطلب منه إجازة - المدير العربي: تترجى منه إجازة

- المدير الغربي: يرى مستقبلك واعدًا - المدير العربي: يرى مستقبلك في يده

- المدير الغربي: يمسك أعصابه إذا اختلفت معه - المدير العربي: يمسك زمارة رقبتك إذا اختلفت معه

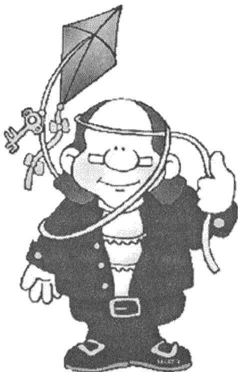
- المدير الغربي: ينتظر سماع رأيك في العمل - المدير العربي:

– المدير الغربي: يثير أفكارك – المدير العربي: يثير أعصابك

– المدير الغربي: يناقشك بالصوت – المدير العربي: يناقشك بالسوط

– المدير الغربي: يجلب مكاسب من أجلك – المدير العربي: يجلب أجلك.

تعليمات الحياة



الغربيـــون مفتونـــون بكتب التعليمات كما تعـرف. وأنـا أحـب كتـب التعليمـات بــشرط ألا تكــون لمنتجــات صينية. من ضمن الرسـائل التي تـصلني يوميًـا تقريبًـا علـى البريـد الألكترونـي مقتطفـات مــن كتـــاب لمؤلـــف يـــدعى (جاكسون براون)، هـو عبـارة عن نصائح يوجهها لابنه لدى دخول الجامعة.

هناك لدى الأمريكان كتاب اسمه (نصائح توم الفقير) كتبه (بنيامين فـرانكلين) أحـد الآبـاء المؤسـسين للولايـات المتحـدة؛ وهـو يحتـوي معظم النصائح السخيفة غير القابلة للتنفيذ الـتي نعرفهـا، والـتي جعلـت طفولـة أمريكيين كثيرين جحيمًا، على غرار اغسل يديك قبل الأكل وبعده.. أما هذا

الكتيب الذي يحمل اسم (كتيب تعليمات الحياة) فنصائحه طريفة فعلاً، ويقول البريد إنه يحوي 1560 نصيحة، وقد حقق أعلى مبيعات.

سوف أقدم لك بعض هذه النصائح هنا:

1- اهدِ حماتك وردًا في عيد ميلاد زوجتك!

2- احذر من عروض البنوك مهما كانت مغرية!

3- توكل على الله ولكن أغلق بابك جيدا! (اعقلها وتوكل عندنا)

4- لا تتخذ قرارا وأنت غاضب!

5- كن شجاعا، وإن لم تكن كذلك فتظاهر، فلن يلاحظ أحد الفرق!

6- تعلم كيف تستمع فالفرص الخفية تحتاج لأذن قوية!

7- لا تحرم الآخرين من الأمل فقد يكون هذا كل ما يملكونه!

8- حين تصادف كتابا جيدا اشتره حتى لو لم تقرأه!

9- كن لطيفا أكثر من الحقيقة، ولكن لا تسمح لأحد باستغلالك!

10- اعمل تمارينا للبطن 50 مرة في الصباح و 50 في المساء!

11- لا تشارك رجلا فشل ثلاث مرات!

12- لاتستعمل بطاقات الائتمان للشراء بالتقسيط!

13- لا تجادل شرطيا أبدا (... وهي نصيحة سمعتها من والدي أيضا)

14- لا تصدق كل ما تسمع، ولا تنفق كل ما تملك، ولا تنم قدر ماترغب...

15- حين تقول والدتك "ستندم على فعل ذلك".. ستندم عليه غالبا!

16- اعتن بسمعتك جيدا فستثبت لك الأيام أنها أغلى ما تملك!

17- قد لا يتطلب الأمر أكثر من شخص واحد لقلب حياتك رأسا على عقب!

18- حين تدق الفرصة على بابك أدعها للمبيت!

19- تعلم القواعد جيدا ثم اكسر بعضها!

20- ركز على جعل الأشياء أفضل وليس أكبر أو أعظم!

21- دلل زوجتك، ولكن ليس أطفالك!

22- لا تكن منشغلا لدرجة عدم التعرف على أشخاص جدد!

23- اقض مع أطفالك ضعف وقتك المعتاد وامنحهم نصف المال المعتاد!

24- ابتعد عن الأماكن المشبوهة؛ فالأحداث السيئة لا تحدث إلا هناك!

25- الفاشل في إنفاق ماله فاشل في كل شيء في حياته!

26- لا تهدد ما لم تملك القدرة على التنفيذ!

27- حين يسألك أحدهم سؤالا لاتحبه، ابتسم وقل «ولماذا تريد أن تعرف»!؟

28- لا تفقد أعصابك، أو ثقتك بنفسك، أو مفاتيح سيارتك!

29- لا تقل لرجل إنه سيصبح أصلعَ أو أشيبَ، فهو يعرف ذلك مسبقا!

30- حين تشتري عقارا انتبه لثلاثة شروط مهمة: الموقع ثم الموقع ثم الموقع!

31- سجل صوت والدك ووالدتك وهما يضحكان!؟

32- ارسل لزوجتك باقة ورد ثم فكر بالسبب لاحقا!

دروس في البيزنس



وصلتني هذه الدروس القيمة عبر البريد الالكتروني، وقد اتفقنا على ألا ابخل عليك بهذه الرسائل إذا جاءت.. إنها دروس في الحياة والعمل لا يمكن نسيانها:

الدرس الأول:

رجل و امرأته يجلسان في حوض الاستحمام الجاكوزي رن جرس الباب فسارعت الزوجة لتغطية جسدها بمنشفة وهبوط السلالم. كان الطارق هو جارهم الذي ما أن رأى الزوجة حتى قال:

– سأمنحكِ 800 دولار لو نزعتِ عنكِ هذه المنشفة!

فكرت الزوجة للحظة.. فلم يبد القرار عسيرًا..خلعت المنشفة فعلاً.

تأملها الجار قليلاً ثم نقدها 800 دولار.

بعد ذهابه صعدت الزوجة إلى الطابق الأعلى فبادرها زوجها بالسؤال:

- من كان الطارق؟

- إنه جارنا بوب.

- هل أعطاك الـ800 دولار التي استدانها مني؟

. مغزى القصة .

حرصك على تزويد شركائك بأرقام الإيرادات والمدفوعات قد يقيك مغبة (الانكشاف) أمام المنافسين.

الدرس الثاني:

حانت ساعة الغداء في المتجر فذهب شاب المبيعات والمحاسب والمدير لتناول الطعام. في طريقهم إلى المطعم مروا ببائع خردوات على الرصيف فاشتروا منه مصباحًا عتيقًا. أثناء تقليبهم للسلعة،تصاعد الدخان من الفوهة ليتشكل ماردٌ هتف بهم بصوتٍ كالرعد:

- لكل منكم أمنيةٌ واحدة.ولكم مني تحقيقها لكم.

سارع شاب المبيعات يهتف:

– أنا أولاً! أريد أن أجد نفسي أقود زورقًا سريعًا في جزر البهاما والهواء يداعب وجهي.

أومأ المارد بيده فتلاشى شاب المبيعات في غمضة عين. عندها تقافز المحاسب صارخًا:

– أنا بعده أرجوك! أريد أن أجد نفسي تحت أنامل مدلكةٍ سمراء في جزيرة هاواي.

لوّح المارد بذراعه فاختفى المحاسب من المكان. وهنا حان دور مديرهم الذي قال ببرود:

– أريد أن أجد نفسي في المتجر بين البائع والمحاسب بعد انقضاء استراحة الغداء.

. مغزى القصة .

اجعل مديرك أول المتكلمين حتى تعرف أهداف الشركة.

الدرس الثالث:

رأى أرنبٌ صغير فهدًا ضخمًا مسترخيا في كسل على غصن شجرةٍ باسقة.

قال الأرنب للفهد:

– هل استطيع أن أفعل مثلك وأجلس باسترخاء دون عمل؟

– بالطبع يا عزيزي الأرنب.

استلقى الأرنب على الأرض وأغمض عينيه في خمول ناسيًا الدنيا وما فيها.

مر ثعلبٌ في المكان.وما أن شاهد الأرنب متمددًا حتى قفز عليه والتهمه.

. مغزى القصة .

لا يمكنك الجلوس دون عمل ما لم تكن مديرًا في منصب كبير!

ليس للزوجات



هـــذه الرســـالة الـــتي جاءتني بالإنجليزية عبر البريـد الإلكترونـــي خطـــيرة جـــدًا ولا تمــزح، لـــذا تجنـــب أن تـــراك زوجتـك وأنـت تقرؤهـا. أما أنـا فليرحمني الله..

– لو خطف أحدهم زوجتك فأفضل انتقام منه هـو أن تدعـه يحـتفظ بهـا. (ديفيد بيسونت)

– بعد الزواج يصير الزوج والزوجة وجهين لعملة واحدة.. لا يمكنهما أن يتقابلا أبدًا لكنهما معًا للأبد. (ساشا جوتري)

– تزوج في كل الأحوال، فلو رزقت بزوجـة صـالحة صـرت سـعيدًا. ولـو رزقت بزوجة سيئة صرت فيلسوفًا. (سقراط)

– النساء يلهمننا بأعظم الأشياء، ويمنعننا من تحقيقها.

ـ السؤال الذي عجزت عن إجابته هو: ماذا تريد المرأة بالضبط؟ (دوما).

ـ تبادلـت بـضع كلمـات مـع زوجـتي وهـي تبادلـت بـضع فقـرات معـي

(سيجموند فرويد).

- الناس يسألون عن سر نجاح زواجنا.. نحن نذهب للمطاعم مرتين أو ثلاثًا كل أسبوع.. ضوء شموع.. عشاء.. موسيقا.. رقص.. فقط هي تذهب يوم الثلاثاء وأنا أذهب الجمعة.

- هناك طريقة لنقل الأموال أسرع من الحوالة الإلكترونية.. اسم هذه الطريقة (الزواج) (سام كنزون).

- كان حظي سيئًا مع زوجتي الاثنتين.. الأولى تركتني والثانية لم تفعل (جيمس مجارفا)

- لينجح زواجك تذكر: عندما تكون مخطئًا اعترف بذلك.. عندما تكون محقًا اخرس!

- أفضل طريقة لتتذكر عيد ميلاد زوجتك هي أن تنساه مرة (ناش)

- كنت وزوجتي سعيدين لمدة عشرين عامًا.. ثم التقينا (هنري يانجمان).

- الزوجة الصالحة تسامح زوجها دومًا عندما تكون مخطئة (رودني دانجرفيلد)

- علق رجل إعلانًا يقول (مطلوب زوجة).. في اليوم التالي تلقى مئة رسالة تقول: خذ زوجتي

الحب هو..



(الحب هو..) ركن ثابت ومحبوب في عدد كبير من الصحف العالمية. ظهر للوجود في الستينيات على يد الفنانة النيوزلندية كيم كازالي. وقد ملأ العالم في البطاقات والتي شيرتات وكل شيء. نعرف طبعًا أن معظم هذه المقولات رومانسي رقيق، لكن بعضها يكون ساحرًا أو ساخرًا ويستحق أن أنقله لك هنا، خاصة إذا تذكرنا أن السطور التالية تحمل رأي بعض الأطفال في الحب:

ربيكا طفلة في التاسعة: عندما أصيبت جدتي بالتهاب المفاصل لم تعد قادرة على دهان أظفار قدميها، لذا كان جدي يطلي أظفارها لها.

كارل طفل في الخامسة: عندما يحبك شخص ينطق اسمك بشكل مختلف. تشعر أن اسمك في أمان في فمه.

بيلي طفل في الرابعة: الحب هو أن تضع الفتاة العطر، ويضع الفتى كولونيا ويشما بعضهما.

كريسي طفلة في السادسة: الحب هو أن تذهب للعشاء وتعطي شخصًا آخر معظم البطاطس المقلية التي تخصك، ولا تطلب منه أن يعطيك أي بطاطس.

تيري طفل في الرابعة: الحب هو ما يجعلك تبتسم عندما تكون مرهقًا.

داني.. طفل في السابعة: الحب هو أن تعد أمي القهوة لأبي، ثم تأخذ رشفة أولاً للتأكد من أنها طيبة.

نيكا..طفل في السادسة: لو أردت أن تتعلم الحب فعليك أن تبدأ بصديق تكرهه.

نويل..طفل قي السابعة: الحب هو عندما تقول لشخص إنك معجب

بقميصه فيلبسه كل يوم.

سندي..طفلة في الثامنة: أثناء فقرة البيانو، كنت على المسرح وكنت خائفة. نظرت للجمهور فرأيت أبي يلوح لي. كان هو الوحيد الذي يفعل هذا فلم أعد خائفة.

كلير..طفل في السادسة: أمي تحبني أكثر من أي شخص آخر. أنت لا ترى أي شخص يقبلني كي أنام ليلاً.

ألين خمس سنوات: الحب هو عندما تعطي أمي أبي أفضل قطعة في الدجاجة.

كريس سبع سنوات: الحب هو عندما ترى أمي أن أبي غارق بالعرق كريه الرائحة، لكنها تؤكد له أنه أجمل من براد بيت.

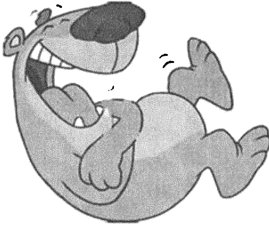
ماري آن أربع سنوات: الحب هو أن يلعق كلبك وجهك برغم أنك تركته طيلة اليوم.

لورين أربع سنوات: أعرف أن أختي الكبيرة تحبني لأنها تعطيني كل ثيابها القديمة وتذهب لتشتري لنفسها ثياباً جديدة!

كارين..طفلة في السابعة: عندما تحب شخصًا فإن أهدابك ترتفع وتهبط وتخرج نجوم صغيرة منها!

جسيكا في الثامنة: لا تقل أحبك ما لم تعن ذلك.. لكن لو قلتها يجب أن تكررها كثيرًا لأن الناس تنسى.

نكات جديدة فعلاً



لا تقل لي من فضلك إنك سمعت هذه النكات من قبل، فقد ترجمتها لك خصيصًا. أرى أنها مناسبة جدًا للعيد:

هناك هذه السيدة الأمريكية التي تصعد إلى الحافلة ومعها رضيع. يراه سائق الحافلة فيقول في اشمئزاز: هذا أقبح رضيع رأيته في حياتي!

تتجه السيدة للمقعد غاضبة، فيلاحظ جارها أنها مغتاظة جدًا.. يسألها عما حدث فتقول:

-"سائق الحافلة أهانني!"

-"لماذا؟.. إنه موظف حكومي وعليه أن يحترم المواطنين.. أرى أن تذهبي وتعلميه الأدب.. دعيني أمسك بهذا القرد إلى أن تعودي!"

ننتقل إلى شيرلوك هولمز المخبر العظيم وصديقه واطسن.. إنهما في رحلة في الخلاء ينامان في خيمة. يسأل هولمز صاحبه عما يراه عندما ينظر

للسماء، فيقول واطسن إنه يرى نجومًا لا حصر لها.. يسأله هولمز عن معنى هذا..

يقول واطسن: "فلكيًا.. معنى هذا أن هناك ملايين الشموس وحولها تريليونات الكواكب. من السهل أن توجد حياة كيميائية مثل حياتنا على هذه الكواكب.. دينيًا أرى أن اتساع الفضاء دليل على عظمة الخالق وعلى ضآلتنا وقلة شأننا. أما من ناحية الأرصاد الجوية فإن السماء سوداء جدًا مما يدل على أن الهواء مستقر وأن الطقس سيكون جميلاً غدًا. لكن بم توحي لك السماء يا مستر هولمز؟"

يقول هولمز: "توحي بأن هناك من سرق الخيمة من فوقنا!"

• • •

ننتقل الآن إلى أستاذ الجامعة الذي سأل الطلاب عما إذا كان واحد منهم معتوهًا. لو كان هناك معتوه هنا فعليه أن يقف.

بعد دقيقة وقف طالب. فسأله الأستاذ عن السبب الذي جعله يعتقد أنه معتوه.. فقال الطالب:

-"لا أعتقد أنني معتوه.. لكن لم أرد أن تقف وحدك طيلة الصف!"

• • •

هناك المريض الذي ذهب للطبيب ليفحصه، فقال له الطبيب:

"للأسف لدي أخبار سيئة لك.. سوف تموت بعد عشرة "

سأله المريض في حيرة: "عشرة ماذا؟.. ساعات؟.. أيام؟.. شهور؟"

قال الطبيب: "تسعة!"

• • •

ثلاثة أصدقاء يتساءلون عن أفضل شيء يحبون ان يسمعوه وهم موتى ممدون في التابوت ساعة الجنازة. قال الأول: أحب ان أسمع الناس يقولون إنني كنت أبًا عظيمًا وطبيبًا بارعًا..

قال الثاني: أريد أن اسمع أنني كنت معلمًا عظيمًا أثر في أجيال..

قال الثالث: أريد أن أسمعهم يقولون: إنه يتحرك!!

• • •

هناك الرجل الذي حضر الصلاة في الكنيسة، فقال للقس: أنا مبذر.. لا يبقى أي مال في جيبي.. أرجو أن تصلوا وتدعوا الله من أجلي..

قال القس: بالطبع سنصلي لك.. لكن بعد ما تدفع تبرعك للكنيسة!

• • •

ننتقل الآن إلى عامل الموكيت الذي قام بتثبيت الموكيت لسيدة في دارها.. انتهى من العمل فقرر أن يدخن سيجارة. لم يجد علبة سجائره، ونظر للموكيت فوجد انتفاخًا صغيرًا تحته.. قال لنفسه: لا معنى لأن أنزع

كل هذا الموكيت من أجل علبة تبغ. وبالمطرقة هشم الانتفاخ ليستوي مع الباقي. هنا عادت السيدة وقالت له وهي تناوله السجائر:

-"سجائرك!.. لقد نسيتها في الصالة.. لكن أين قطتي؟.. لا أعرف أين اختفت!"

• • •

هناك طالبات المدرسة اللاتي كلفتهن المديرة بطلاء الفصل، وهددتهن بالويل لو وقعت بقعة طلاء واحدة علي ثيابهن.. فكرت الطالبات ثم قررن أن ينزعن الثياب تمامًا ويغلقن الباب، ويقمن بطلاء الفصل عاريات فلا تقع بقعة واحدة على ثيابهن. هكذا رحن يطلين المكان.. فجأة دق الباب..

-"من الطارق؟"

جاء صوت رجل من الخارج:

-"أنا كفيف"

هنا تبادلت الفتيات النظرات.. لا مانع من فتح الباب ما دام الرجل كفيفًا. هكذا فتحن الباب ليدخل. قال لهن: منظر رائع.. أنا كفيف أبو مندور الذي سيقوم بتركيب الستائر!

قاموس نسائي



مواقــع إنترنــت
كـثيرة تحــاول أن تـضع
قواميس للغــة النسائية
الغامـضة، وهــي مهمــة
معقـدة فعــلاً. إن اللغــة
النــسائية لغــة دوليــة
تعطيــك عنــد سماعهــا
الوهم الزائف بأنها لغة
عربيـــة أو إنجليزيـــة
لكنك عند التعامل معها
تكتشف أنها تقصد أشياء مختلفة تمامًا. خذ الأمثلة التالية:

-طيب: معناها أن المناقشة انتهت.. المرأة تعرف يقينًا أنها على صواب، وتريد منك أن تخرس.

- خمس دقائق: معنى هذا ساعة تقريبًا.. خاصة إذا ما كانت تتأهب للخروج. متى تصير الخمس دقائق خمس دقائق فعلاً؟.. عندما تمنحك هي خمس دقائق لمشاهدة المباراة قبل أن تساعدها في تنظيف البيت.

- لا شيء: هذا هو الهدوء الذي يسبق العاصفة.. عندما تقول زوجتك: لا شيء، فمعنى هذا أن الكارثة قادمة وعليك أن تتأهب للخطر..

- هلم: هذه ليست دعوة للفعل بل هي تحد مخيف.. بأي ثمن لا تفعل ما كنت تنوي عمله..

- صوت تنهد عال: غالبًا يسيء الرجال فهم هذه الكلمة، وهي ليست كلمة بل هي نوع من الأصوات. التنهد العالي يعني أنك أحمق وأنها لا تفهم لماذا تضيع وقتها مع واحد مثلك.

- لا مشكلة: هذه أخطر عبارة يمكن أن تقولها امرأة لرجل.. معنى هذا أنها بحاجة لوقت طويل كي تجد طريقة تعاقبك بها على أخطائك.

- شكرًا: عامة لو شكرتك المرأة على شيء فلا تفقد وعيك. اكتف بأن تقول لها: عفوًا.. أما إذا قالت لك (شكرًا بشدة) فهذا ليس شكرًا بل هي سخرية مريرة.. عندما تسمع هذا لا تقل لها (عفوًا) لأنها ستنفجر فيك... ابتسم فحسب..

- ليكن: هذه هي الطريقة النسائية في قول (تبًا لك!).

- لا تقلق: هذه عبارة خطرة أخرى.. هنا تكون المرأة قد طلبت من الرجل شيئًا ولم يفعله.. وبهذه الطريقة تقول إنها قامت بالشيء بنفسها. لا داعي للسؤال عن (هل يوجد خطأ؟) لأنه سيلقي بك في براثن الرد (لا شيء).

- هذه فتاة رائعة الجمال: معناها أنها فتاة قبيحة ولا تمثل خطرًا.

- هذه فتاة مفتعلة: معناها أنها فتاة رائعة تدير رءوس الرجال. وهي تخشى خطرا.

- يجب أن تهتم بأمك أكثر: معناها أنه لا يجب أن تتصل بأمك

أبدًا.. من الأفضل الاستفادة بهذا الوقت في الاطمئنان على أمها هي.

- لك أصدقاء ظرفاء: أي أن أصدقاءك ألعن مجموعة من الأوغاد عرفتها في حياتها.

طلاق مضحك



دعابات كثيرة قيلت عن الطلاق، فهو موضوع محبب للأفلام العربية. هذا من المواضيع التي يصعب أن تجد فيها دعابة – مثل الحانوتي – لكنهم فعلوا، وأنت تعرف أن المأذون والطلاق ضيفان دائمان في تلك الأفلام، وتعرف كم من قصة نسجت حول دور (المحلل) بعد الطلقة الثالثة، منها (الواد سيد الشغال) مسرحية عادل إمام الشهيرة.. هناك كذلك أشهر جملة قصيرة للممثل الأمريكي أرنولد شوارزنجر عندما أطلق الرصاص على رأس زوجته في فيلم (استعادة كلية)

فقال لها: "اعتبري هذا طلاقًا!."

وصلني هذا الخطاب الطريف بالبريد الالكتروني، وهو عبارة عن خطاب من زوجة لزوجها أترجمه لك. تقول فيه:

"زوجي العزيز:

أكتب لك هذا الخطاب لأقول لك إنني راحلة. كنت زوجة طيبة مخلصة لك طيلة 20 عامًا لكن الأسبوعين الأخيرين كانا كالجحيم بالنسبة لي. اتصل بي رئيسك في العمل ليخبرني أنك تركت العمل اليوم، وهذه كانت القشة الأخيرة. الأسبوع الماضي جئت للبيت ولم تلحظ قط انني غيرت تسريحة شعري، ولا أنني قمت بطبخ وجبتك المفضلة وكنت ألبس قميص نوم جديدًا..

أكلت في دقيقتين ودخلت لتنام بسرعة بعد ما شاهدت تمثيليات التلفزيون السخيفة. لم تعد تقول لي إنني أحبك ولم تعد تطلب لقاءات عاطفية أو أي شيء يربط بيننا كزوج وزوجة.

إما أنك تخونني أو أنت لم تعد تحبني.. في جميع الأحوال أنا راحلة.

زوجتك السابقة

ملحوظة: لا تحاول البحث عني.. أنا وأخوك سوف نسافر لنيوزيلندا معًا.. انعم بحياتك!"

خرس الزوج موضوع نو شجون وقد تكلم عنه الساخر الكبير احمد رجب

مرارًا، وقال إن الطريقة المثلى لعلاجه هي التخلص من التلفزيون.. هناك امرأة جربت ذلك، وبعد شهرين تعلم زوجها أن يقول: "دح.. واء.. مم" .. وهي تتوقع أن يجيد الكلام خلال عام. هناك كذلك (جليطة الأزواج) الشهيرة حيث يتعامل الزوج بلا مبالاة وقلة ذوق، حتى ان الزوجة قد تقضي الأمسية في تصفيف شعرها استعدادًا للخروج، لتصير في كامل مجدها الأنثوي.. ثم تدخل عليه طالبة رأيه فيقول في قلة ذوق: "كويس. يللا بينا".

لقد استحق الزوج ما حدث له، لكن دعنا نعرف ما رد به الزوج على زوجته:

"زوجتي السابقة العزيزة:

لم يسعدني شيء في العالم قدر خطابك هذا. لقد صنع يومي فعلاً. حقًا كنا متزوجين لمدة عشرين عامًا، برغم أن المرأة الطيبة هي آخر شيء يمكن أن نصفك به.

أشاهد تمثيليات التلفزيون السخيفة لأنها تنسيني شكواك الدائمة وثرثرتك. للأسف لم يعد هذا العلاج صالحًا.. لاحظت أنك غيرت طريقة تصفيف شعرك الأسبوع الماضي لكن أول ما خطر لي هو: "إنها تبدو كصبي".

رباني أبي على ألا أنطق بحرف إذا لم أستطع قول شيء لطيف. لذا لم أعلق. عندما طهوت لي وجبتي المفضلة لابد أنك خلطت بيني وأخي، لأنني لم آكل

الجمبري (الروبيان) منذ سبع سنوات. أما عن قميص النوم الجديد فلم أنظر لك لأنني رأيت ملصق السعر عليه، وكان 299، 99 دولارًا. دعوت الله أن تكون صدفة لأن أخي اقترض مني 300 دولار ذلك الصباح.

بعد هذا كله كنت أحبك وحسبت أن بوسعنا الاستمرار معًا وحل خلافاتنا. عندما ربحت 20 مليون دولار في اليانصيب يوم السبت، تركت العمل وابتعت لنا تذكرتين إلى باريس، لكن عندما عدت للبيت وجدتك قد رحلت. لكل شيء سبب على ما أعتقد.

أرجو ان تفوزي بالحياة العظيمة التي تحلمين بها. يقول محامي إن خطابك الذي أرسلته يضمن أنك لن تحصلي على دولار واحد. لذا اعتني بنفسك.

زوجك السابق الذي صار ثريًا كالجحيم وحرًا.

ملحوظة: لا أعرف إن كنت قلت لك هذا من قبل، لكن أخي كارل كان مولودًا باسم كارلا. أرجو ألا يسبب هذا مشكلة لك".

كما نرى هذه من المرات القلائل التي ينتصر فيها الزوج على الزوجة وتكون حساباته عبقرية وخطته متقنة. أعتقد أن هذه القصة نوع من أحلام اليقظة أو الخيال العلمي. فأنت تعرف أن الرجل لا يفوز في المعركة أبدًا..

هذه من المرات التي يصير فيها الكلام عن الطلاق ممتعًا.

هكذا تكلم مارك توين



عنـــــدما يـــتكلم الـــساخر الأمريكي العظيم ســـليط اللـــسان (مـــارك تـــوين) يكـــون علينـــا أن نصغي:

المزيــــــة

التي انفرد بها سيدنا آدم هي أنه عندما كان يقول شيئًا جيدًا كـان يعـرف يقينًا أنه ما من أحد قاله من قبل!

• • •

لقد رأيت هذا النمط من الناس الذين لا يعترفون أبدًا بأنهم يجهلـون معنى كلمة جديدة.. وكلما ازداد جهلـهم كلما ازدادوا يقينًا أنـك لا تـدرك خواء رءوسهم.

° ° °

للألمان طرق لغوية غير آدمية لتقطيع الأفعال.. إن الفعل يعاني ما يكفي في هذا العالم وهو كامل، فمن الوحشية أن تقطعه كما يفعل الألمان.. إنهم يأخذون جزءًا من الفعل ويغرسونه هنا كالخازوق، ثم يأخذون جزءًا آخر ويضعونه هنالك كخازوق آخر.. وبين الخازوقين يكومون الكلام الألماني.

° ° °

الإيطاليون يتهجأون الاسم (فينسي) وينطقونه (فينتشي).. كل الأجانب يجيدون الهجاء ولا يجيدون النطق..

° ° °

عندما يتحدث عن الحرب رجال خاضوها فإن كلامهم ممتع.. بينما عندما يتكلم عن القمر شاعر لم يذهب للقمر فإن كلامه غبي على الأرجح..

° ° °

هناك 3 طرق لمدح المؤلف.. وهي تصاعدية في قوة مجاملتها.. الطريقة الأولى أن تخبره أنك قرأت كتابًا له.. الطريقة الثانية أن تخبره أنك قرأت كل كتبه.. الطريقة الثالثة أن تطلب منه مسودات كتابه القادم.. الطريقة الأولى تضمن لك احترامه... الطريقة الثانية تضمن لك إعجابه.. الطريقة الثالثة تحملك إلى قلبه..

° ° °

استبدل بلفظة (جدًا) لفظة (زفت) كلما أردت أن تكتب (جدًا)..

سوف يحذف الناشر كل ألفاظ (زفت) هذه وهكذا يصير النص كما يجب أن يكون!

° ° °

لا تخبرني بشيء عن مهنة الصحافة يا سيدي فأنا جربت كل شيء.. وأؤكد لك أنه كلما عرف الرجل أقل، كلما علت الضوضاء التي يصنعها وكلما ارتفع الراتب الذي يحصل عليه..

° ° °

المجاملات تحرجني جدًا.. كلما جاملني الناس أشعر بحرج لأني اشعر بأنهم لم يقولوا ما يكفي..

° ° °

العمل الكلاسيكي هو شيء يتمنى كل إنسان لو كان قد قرأه، لكن لا أحد يرغب في ذلك..

° ° °

حينما يغطس الأديب الألماني في جملة فهذه آخر مرة تراه فيها، إلى أن يخرج من الجهة الأخرى للمحيط الأطلسي حاملاً فعلاً في فمه..

° ° °

الفارق بين الكلمة الصحيحة تقريبًا والكلمة الصحيحة شاسع جدًا.. إنه الفارق بين البقة المضيئة والضوء ذاته!

° ° °

المجلدات الضخمة المغلفة بالجلد ممتازة لسن موسى الحلاقة، والكتب الرفيعة تناسب المناضد التي كسرت إحدى أرجلها، بينما الأطلس العملاق يمكنه أن يغطي النوافذ التي تهشم أحد ألواحها.. أما الكتب عتيقة الطراز التي تغلق بإبزيم فهي أصلح شيء في العالم لتلقيه على القط..

° ° °

التشبث بالمعتقدات البالية لم يحطم قيدًا ولا حرر روح إنسان في التاريخ.. ولن يفعل ذلك أبدًا..

° ° °

الكلمة المناسبة قد تكون فعالة، لكن ما من كلمة أكثر فعالية من صمت يأتي في وقته..

° ° °

لولا الأغبياء لما حقق الآخرون أي نجاح!

مزيد من النكات المترجمة



مع مزيد من النكات المترجمة التي أثق بأنك لم تسمعها من قبل.

رجل أعمال من نيويورك اتجه للمصرف طالبًا قرضًا بخمسة آلاف دولار لأنه مسافر للخارج.. الضمان للقرض هو سيارته الرولز ريس الواقفة أمام المصرف. كان وضعه المالي ممتازًا لذا وافق المصرف وتم توقيع الأوراق، وأخذ المبلغ المطلوب بينما قام رجال المصرف بأخذ السيارة الثمينة لوضعها في جراج المصرف. بعد أسبوعين عاد رجل الأعمال ليدفع القرض مع الفائدة التي قدرت بخمسة عشر دولارًا. سأله مدير المصرف: نحن سعداء بالتعامل مع رجل محترم مثلك.. لكننا نعرف أنك ملياردير فلماذا قمت باقتراض مبلغ تافه كهذا؟

قال رجل الأعمال: هل تعرف مكانًا آخر في نيويورك تضع فيه

سيارتك لمدة أسبوعين مقابل خمسة عشر دولارًا فقط؟؟؟

والآن ننتقل إلى صف المدرسة العائد من الفسحة اليومية. يسأل الأستاذ ماري: ماذا فعلت في الفسحة؟، فتقول: كنت ألعب في الرمال..

يقول لها: لو استطعت أن تكتبي لفظة (رمال) على لوح الكتابة فلك قطعة من الحلوى. بالفعل استطاعت ذلك.

يسأل صديقها بيلي عما كان يفعله في الفسحة فيقول بيلي: كنت ألعب مع ماري في صندوق الرمال. فيطلب منه أن يكتب لفظة (صندوق).. عندما ينجح الصبي في الكتابة يعطيه قطعة من الحلوى.

التلميذ الثالث أسود اللون.. يسأله المعلم عما فعله في الفسحة، فيقول: حاولت اللعب مع ماري وبيلي لكنهما رفضا أن ألعب معهما وقذفاني بالحجارة. يقول المدرس: رفضا اللعب معك؟.. هذه تفرقة عنصرية بسبب اللون.. لو استطعت أن تكتب على لوح الكتابة (تفرقة عنصرية بسبب اللون) لأعطيتك قطعة من الحلوى!

نتقل إلى الغابة حيث ثلاثة رجال ضلوا طريقهم وقبض عليهم أكلة لحوم البشر. قال زعيم أكلة لحوم البشر إنه سيعفو عنهم لو اجتازوا المحاكمة. أول خطوة في المحاكمة هي الذهاب للغابة والحصول على عشر

قطع من ذات صنف الفاكهة. هكذا تفرق الرجال في الغابة.

جاء الرجل الأول وقال إنه حصل على عشر تفاحات. أمره الملك بأن يبتلع الثمرات دون مضغ ودون ان يتذمر.. ابتلع الرجل أول تفاحة ثم أوشك على الاختناق مع التفاحة الثانية.. هكذا قتله أكلة لحوم البشر.

الرجل الثاني أحضر عشر حبات من التوت.. شرح له الملك أن عليه ابتلاعها جميعًا بلا تذمر أو أن يبدو أي تعبير على وجهه. خطر للرجل أن هذا سهل جدًا وبدأ يبتلع الثمرات بسهولة.. عندما بلغ الثمرة التاسعة انفجر في الضحك وهكذا أمر الملك بقتله.

التقى الرجل الأول مع الثاني في السماء، فقال الأول: لماذا ضحكت وأفسدت كل شيء؟.. لقد كانت نجاتك سهلة؟. قال الآخر: لم أستطع المقاومة.. لقد رأيت صديقنا الثالث قادمًا وهو يحمل ثمرات أناناس!

رجل لديه كلب دوبرمان شرس ورجل لديه كلب شيواوا رقيق. يقترح مالك الدوبرمان على صديقه أن يذهبا للمطعم ليأكلا. يقول مالك الشيواوا إن هذا مستحيل ما دامت الكلاب معهما لكن الأول يؤكد أنه يعرف ما يفعله. يضع مالك الدوبرمان نظارة سوداء ويدخل المطعم مع الكلب فيوقفه البواب: ممنوع الدخول للكلب..يقول الرجل: أنت لا تفهم.. أنا كفيف

وهذا الكلب هو عيني.

_ كلب دوبرمان؟؟؟

_ نعم.. يستعملون هذه الكلاب اليوم وهي ممتازة.

هكذا يسمح له الحارس بالدخول. يتقدم مالك الشيواوا بدوره وقد وضع نظارة سوداء أخرى.

- أنا كفيف وهذا الكلب هو عيني..

_ كلب شيواوا؟

هنا قال الرجل في ذهول:

-"هل تعني أن هؤلاء النصابين أعطوني كلب شيواوا؟؟؟

ننتقل إلى غرفة الإعدام بالكرسي الكهربي حيث يقف رجلان بانتظار إعدامهما. يلقي عليهما القس الموعظة الأخيرة ثم يسأل السجان أولهما عما إذا كانت لديه رغبة أخيرة. يقول الرجل:

-"أريد سماع موسيقا راقصة.. أريد سماع أغنية ماكارينا."

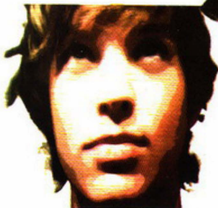
استدار إلى الآخر وسأله إن كانت لديه رغبة أخيرة فقال:

-"نعم.. من فضلك اقتلني أولاً!!!"



الفهرس





وساوس وهلاوس

اهدي هذا الكتيب لقرائي الأعزاء، سواء كانوا ممن سيبتاعون نسخته الأصلية او المزورة، أو ممن سيحملونه في صيغة pdf مجانًا من شبكة الإنترنت، فيدعو كل منهم للقرصان صاحب الموقع ويقول له: "جعل الله هذا في ميزان حسناتك يا أخي"، ثم ينهال بالهجوم على مؤلف الكتاب باعتباره رجلًا سخيفًا تافهًا، وقد اخذ أكبر من حجمه بكثير، ويدعو عليه بالشلل والبله المغولي، ثم ينام سعيدًا راضيًا عن الكون والحياة.

دكتور
أحمد خالد توفيق

